أثر السياق الاجتماعي في قراءة الأمثال والإفصاح عن مقاصد متكلميها في كتاب سيبويه

أستاذ المساعد غالية عبد العزيز عبد الرحمن المسند

قسم اللغة العربية/ كلية الاداب/ جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن/ المملكة العربية السعودية

الملخص:-

اتخذ هذا البحث من الأمثال وأشباهها و(تراكيب المواقف اليومية) في كتاب سيبويه موضوعًا لإعادة قراءة التراث النحوي في ضوء الأعراف الاجتماعية السائدة في المجتمع واستحضار الخلفيات المعرفية والثقافية المترسخة بين أبناء الجماعة اللغوية التي لها أكبر الأثر في نشأة الأمثال ونحتها وبلورتها على هيئات مخصوصة، كما أدرك أن للعادات والثقافات دورًا بارزًا في ولادة (تراكيب الحياة اليومية)، التي تواطأ عليها كل أفراد الجماعة اللغوية على مختلف طباعهم ومشاربهم وجنسياتهم وثقافاتهم، وانتزع المقاصد مستعينًا بكل الظروف المحيطة بالخطاب من معتقدات المتكلم، وبيئته الاجتماعية، وثقافته، والمخاطب، ومستواه الفكري والثقافي، والعادات والتقاليد، وكل ما له اتصال بالمنجز الكلامي.

كلمات مفتاحية: السياق، الاجتماعي، الأمثال ،الإفصاح، قصد،الكتاب.

تاريخ الاستلام:٢٠٢٢/٠٣/١٠　　**تاريخ القبول:٢٠٢٢/٠٧/٢٥**

The Impact of the Social Context in Reading Proverbs and Revealing the Intentions of their Speakers in Sibawayh's Book

Asst. Prof. Ghalia Abdul Aziz Abdul Rahman Al-Misnad
Department of / College of Arts /University of Princess Nourah bint Abdulrahman, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract:

This research has taken the proverbs and their likes and (structures of everyday situations) in Sibawayh's book as a subject to re-read the grammatical heritage in the light of the prevailing social norms in society and to evoke the knowledge and cultural backgrounds rooted among the members of the linguistic community that have the greatest impact on the emergence of proverbs, sculpting and crystallizing them on specific bodies. I realize that customs and cultures have a prominent role in the birth of (the structures of daily life), in which all members of the linguistic community of different natures, affiliations, nationalities and cultures have colluded.

He extracted the intentions using all the circumstances surrounding the speech from the speaker's beliefs, his social environment, his culture, the addressee, his intellectual and cultural level, customs and traditions, and everything related to the verbal achievement.

Keywords: Context، social ، proverbs ، disclosure ، intention ، book.

Received: 10/03/2022 **Accepted: 25/07/2022**

المقدمة:-

حظي كتاب سيبويه على احتفاء الدارسين واهتمامهم قديمًا وحديثًا، فَدَارَ النحاة القدامى في فلكه، واتخذوه أساسًا لدراستهم وتعاورت عليه أقلامهم بالشروح، والتعليقات، والاختصارات، وجمع الشواهد، وشرحها... إلخ، ولا يكاد يخلو كتاب نحو من النقل عنه أو الأخذ منه؛ بل إن بعضهم من فَرْط إعجابهم وولعهم لَقَّبُوهُ بـ "قرآن النحو". (اللغوي، ١٩٥٥، ص ٦٥، عمر، ٢٠٠٣، ص ١٢٤)، وانكبَّ المحدثون على دراسته ينوشون بعض ظواهره في موضوعات رسائلهم للماجستير والدكتوراه، يشهد على ذلك تصفح فهارس أية كلية متخصصة في دراسة اللغة، والنظر إلى كَمِّ ما تحويه من الأطروحات العلمية التي اتخذت من أفكاره موضوعًا ناهيكم عن بحوث الأساتذة بالمجلات العلمية، والمقالات المتنوعة، ومؤلفاتهم بالمكتبات التجارية... إلخ، ورغم هذه الكثرة الكاثرة إلا أن ثمة جوانب منه لما تزل بحاجة إلى قراءة، وقراءة القراءة، وتأتي الأمثال وأشباه الأمثال على رأس تلك المناطق التي لما تزل بحاجة إلى حرثها؛ وخصوصًا، أنها نالت من سيبويه اهتمامًا بينًا بدءًا من تعويله عليها في الاستشهاد ومرورًا باهتمامه بكل السياقات التي تكتنفها وتتقاصف عليها كسياق الحال واللغوي والاجتماعي الذي يظهر بجلاء ووضوح في الأمثال، واقتصرت دراستي على الأمثال التي اتضح فيها أثر السياق الاجتماعي.

أسباب اختيار الموضوع:

أن الْأَمْثَال مصدر مهم من مصادر الاستشهاد على القواعد النحوية ، ومع تلك الأهمية لم تحظ بالدراسات التي تستحقها كَمًّا وكَيْفًا، كما أنها مكتنفة بالمقامات والأحوال المشاهدة وكل ما يمت بصلة للحدث الكلامي.

اهتمامه بمقاصد المتكلمين التي تعد من أهم وظائف اللغة اهتمامًا كبيرًا، وتَبْوِيئُهُ لها مكانةً محوريةً، فلم يألُ جهدًا أو وسيلة في إماطة اللثام عنها، والإفصاح بها في كل مسألة من مسائل الكتاب، ناهيكم عن توغلها داخل الأمثال وأشباهها.

تركيزه على دور السياقات في الإبانة عن مقاصد المتكلمين وتجليتها، بحكم أن السياقَ المهادُ الأوَّلُ، والكنف الحاضن لكل منتج لغوي.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أنه يعقد الصلات بين الفكر العربي متمثلًا في باكورة النتاج النحوي على يد سيبويه والفكر الغربي متمثلًا في التداولية تاج الدراسات اللغوية الحديثة، متُّخِذًا من الأمثال وأشباهها وتراكيب المواقف مادة للدراسة.

كما أنه يوقفنا على تَنَبُّهِ سيبويه لأهمية القصد والاعتناء به، واستقصاء كل الأسباب والظروف والمقامات المحيطة بالخطاب التي تؤثر في إنجازه، وتَنمُّ وتفصح عن مقاصد المتكلمين التي من أجلها تُساق الخطابات.

أهداف الموضوع:

انتقاء الأمثال وأشباهها وتراكيب المواقف التي يتجلى فيها دور السياق الاجتماعي، وتفسيرها وشرح مراده. واصطفاء ما كشف السياق الاجتماعي فيها عن مقاصد المتكلمين، وما أفصح عنه سيبويه من الآصرة بين السياقات (الاجتماعي والحالي واللغوي) وتعاضدها في بيان مقاصد المتكلمين.

تحليل الأمثال والوقوف على إلماحاته الألمعية وومضاته الكاشفة لدور السياق الاجتماعي في الإبانة عن مقاصدهم.

منهج الدراسة:

ومن أجل بلوغي إلى ما صَبَتْ إليه نفسي وإنجازي ما دَأَبَ عليه جهدي عَوَّلْتُ على المنهج الوصفي، واتخذت من التحليل أداة كاشفة لمقاصد المتكلمين المجدولة مع مختلف الأسيقة المكتنفة لكلام العرب.

الدراسات السابقة:

جادت قرائح الدارسين بوفرة من الدراسات التي تناولت السياق بالدراسة منها ما يتخذ الكتاب أرضا لدراسته، مثل: الحذف من التركيب وتوجيهه في كتاب سيبويه دراسة في القاعدة والسياق (أطروحة ماجستير) لعزيزة بنت عبد الله الغوينم، وسياق الحال في كتاب سيبويه لأسعد خلف العوادي، وأثر سياق الكلام في العلاقات النحوية عند سيبويه دراسة مقارنة بالتراث النحوي العربي والمناهج اللغوية الحديثة لسارة عبد الله الخالدي، ودور السياق في منهج التحليل النحوي عند سيبويه لموسى إبراهيم الشلتاوي، وظاهرة الاتساع والإيجاز ومقاصدها التداولية عند النحاة العرب الأوائل من خلال كتاب سيبويه لفازية تفرشة، ومنها دراسات تناولت السياق بوجه عام، مثل: نظر في نظرية السياق دراسة بين القدماء والمحدثين لخالد عبود حمودي الشيخلي، والسياق والنص: استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي لفطومة لحمادي، ونظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية لعبد المنعم خليل، ومن الدراسات التي تناولت القصد: القصدية في الموروث اللساني العربي دراسة في الأسس النظرية والإجرائية للبلاغة العربية (رسالة دكتوراه) لدلال وشن، ولم تتحدث عن سيبويه سوى في بضع وريقات وباقتضاب، والقصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة لدلال وشن، ومن جذور التداولية وبوادرها في كتاب سيبويه: قِراءة متأنية في فكره التداولي لعائدة سعيد البصلة، والقصدية في اللغة العربية بين الدراسات القديمة والحديثة لرنا ماجد ثابت، ولم تتحدث عن سيبويه إلا في سطر ونصف، والقصدية وأثرها في توجيه الأحكام النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري (رسالة دكتوراه) كلية التربية الجامعة المستنصرية، لحيدر جاسم جابر الدنيناوي. ولم أتمكن من الاطلاع عليها. واختلف بحثي عنها جميعًا في أنه مزج بين السياق والقصد، وعوَّلَ على دور السياق في الإفصاح عن مقاصد المتكلمين، وصَبَّ اهتمامه على إظهار جهود سيبويه وعنايته بالمقاصد.

ومن الدراسات التي يبدو من عناوينها أنها تمت بصلة لعملي كتاب: الأمثال في كتاب سيبويه دراسة نحوية صرفية للدكتور السيد أحمد علي، نَشَرته مكتبة الزهراء، القاهرة، بدون تاريخ نشر، وعليه رقم إيداع بتاريخ

١٩٩٤م، وهو يركز على دور الأمثال في التقعيد النحوي والصرفي، واستفاض وجمع كل ما قاله النحاة عنها، وأسهب في كل ما يتعلق بها، كمورد المثل ومضربه ومعناه والاستشهاد به...

ومن البحوث بحث: الأمثال في كتاب سيبويه عرض ومناقشة وتقويم للدكتور شوقي المعري، وهو منشور في مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب – دمشق، العددان (٨٦، ٨٧) أغسطس ٢٠٠٢م، فقال في المثلين: أَمْتٌ في الْحَجَرِ لا فِيكَ، وشَرٌّ أَهَرَّ ذا نَابٍ: استشهد بالمثلين في باب يختار فيه أن تكون المصادر مبتدأة مَبنيًّا عليها ما بعدها، وما أشبه المصادر من الأسماء والصفات بعد أن أورد قولهم: شَيْءٌ مَا جَاءَ بِكَ، وقال: "ويَحسُن وإن لم يكن على فعل مضمَرٍ؛ لأنّ فِيهِ معنى مَا جَاءَ بِكَ إلّا شَيْءٌ. ومثلُه مَثَلٌ للعرب: " شرٌّ أهَرَّ ذَا نَابٍ... وقال: وقد ابتُدئَ فى الكلام على غير ذا المعنى، وعلى غير ما فيه معنى المنصوبِ، وليس بالأصل، قالوا فى مَثَلٍ: " أَمْتٌ فى الحَجَرِ لا فِيكَ" (سيبويه، ١٩٨٨، ص ١/ ٣٢٩، المعري، ٢٠٠٢، ص ٣١٣)، وكلام الدكتور شوقي المعري لا يعدو أن يكون نقلًا لكلام سيبويه في المثل، وعلى هذا الدرب سار في البحث كله.

ومنها أيضًا: دور السياق في توجيه سيبويه النحوي للأمثال للدكتور محمد السيد عبده علي بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد السابع والثلاثون ٢٠١٨م، وهو عمل كثرت فيه النصوص، وافتقر إلى التحليل والرؤية، فكان حديثه في المثل: شر أهر ذا ناب بعد أن عرض كلام سيبويه... "ولماذا كان المعنى على النفي؟ قال ابن جني: " فإنما جاز الابتداء فيه بالنكرة من حيث كان الكلام عائدًا إلى معنى النفي أي ما أهر ذا ناب إلا شر وإنما كان المعنى هذا لأن الخبرية عليه أقوى ألا ترى أنك لو قلت: أهر ذا ناب شر لكنت على طرف من الإخبار غير مؤكد فإذا قلت: ما أهر ذا ناب إلا شر كان ذلك أوكد؛ ألا ترى أن قولك: ما قام إلا زيد أوكد من قولك: قام زيد. وإنما احتيج إلى التوكيد في هذا الموضع من حيث كان أمرًا عانيًا مهمًا" (نقلا من المؤلف من الخصائص لابن جني، ١٩٩٩، ص١/ ٣٢٠)، كما أن الرفع في (شرّ) لابد مع وقوعه أولا أن يكون لأنه مبتدأ مما جعل سيبويه يعلل لكونه نكرة مع كونه مبتدأ، فالكلام من جهة سياقه لا يحتمل إلا الابتداء. فهذا ما عليه سياق الكلام لما هر الكلب في وقت يكون هريره فيه لأمر حادث فقد كان المعنى المراد واضحًا، فخرج الكلام على معنى التوكيد، وذلك ما سهل فهم المراد، فكأن المعنى: شر عظيم أهر ذا ناب. (نقلا من المؤلف بتصرف من شرح قطر الندى لابن هشام، ص ٣٢٢)، وانضم إلى ذلك كون الكلام مثلا فحسَّنَ كل ذلك الابتداء بالنكرة. (علي، مجلة اللغة العربية العدد (٣٧)، ص ١٠٤٧)، وهكذا كان تناوله لكل الأمثال؛ حيث يذكر المثل ويعرض تحته الآراء، ناهيكم عن ضعف الصياغة كما في " كما أن الرفع في (شرّ) لابد مع وقوعه أولا أن يكون لأنه مبتدأ مما جعل سيبويه يعلل لكونه نكرة مع كونه مبتدأ"، وتكرار الألفاظ عينها مثل لفظة الكلام التي تكررت في اقتباسته عن ابن هشام ثلاث مرات، وهو ما يجعل النص مترهلا ويدل على فقر لغوي.

هيكل البحث:

وقد شيدت بناء بحثي هذا من مقدمة وخاتمة، وبينهما فصلان، وذَيَّلْتُهُ بخاتمة حَوَتْ قطوفه، تناولت في المقدمة مَدْخلًا عن البحث، وأوضحت أسباب اختياره، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، وهيكله، وانشعب عن الفصل الأول المعنون بـ "تحديد المفاهيم" مبحثان: الأول "مفهوم السياق" تحدثت فيه عن: السياق لغة، واصطلاحًا، والسياق اللغوي، وسياق الحال، والسياق الاجتماعي، والثاني: "مفهوم القصدية" تحدثت فيه عن: القصد لغة، واصطلاحًا، ومصطلحاته في التعبير عن القصد، أما الفصل الثاني المعنون بـ "أثر السياق الاجتماعي في الوقوف على مقاصد المتكلمين" وهو جوهر البحث ولبُّه، فجاء في ثلاثة مباحث، أولها: التداولية الاجتماعية للأمثال وأشباهها وتراكيب المواقف اليومية، وثانيها: أثر الأعراف الاجتماعية والخلفيات المعرفية في الإبانة عن مقاصد المتكلمين، وثالثها: تضافر السياقات في الإبانة عن مقاصد المتكلمين، وختمته بأهم ما توصلت إليه من نتائج، ثم دوّنت مكتبة البحث ومراجعه.

الفصل الأول: تحديد المفاهيم:

المبحث الأول: مفهوم السياق:

(١-١) السياق لغة:

تدور مادة (س.و.ق) في المعاجم اللغوية حول معانى: التتابع والتقاود والاتصال، ففي اللسان: "ساقَ الإبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقًا وسِياقًا، وهو سائقٌ وسَوَّاق، شدِّد لِلْمُبَالَغَةِ... وَقَدِ انْساقَت وتَساوَقَت الإبلُ تَساوُقًا إِذَا تَتَابَعَتْ، وَكَذَلِكَ تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة... والمُساوَقة: المُتابعة كَأَنَّ بعضَها يَسُوقُ بَعْضًا". (ابن منظور، ١٩٩٣، ص ١٠/ ١٦٦)، هذا هو المعنى الحقيقي للسوق، ولكن انشعب عنه عدة معان مجازية منها الاتصال، كقول الجوهري: "وَلَدَتْ فلانةُ ثلاثةَ بنينَ على ساقٍ واحد؛ أي بعضُهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية". (الجوهري، ١٩٨٧، ص ٤/ ١٤٩٩). وَمن المَجازِ كذلك: "ساقَ إِلى المَرْأَة مَهْرَها وصَداقَها سِياقًا: أَرْسَلَه، كأساقَه، وإِن كانَ دَراهِمَ أَو دَنانِيرَ؛ لأَنَّ أَصْلَ الصَّداقِ عندَ العَرَبِ الإِبل، وَهِي التِي تُساقُ، فاسْتُعْمِلَ ذلِكَ فِي الدِّرْهَم والدِّينارِ وغَيْرِهِما، وأطلقوا السِّياقُ على المَهْرِ؛ لأَنهم إِذا تَزَوَّجُوا كانُوا يَسوقُونَ الإبلَ والغَنَمَ مَهْرًا؛ لأَنَّها كانَت الغالبِ على أَموالِهِم، ثُمَّ وُضِعَ السِّياق موضِعَ المَهْرِ وَإِن لَم يَكن إِبِلًا وغَنَمًا"(الزبيدي، ١٩٧٠، ص ٢٥/ ٤٧٢).

ومن المجاز أيضًا ما أورده الزمخشري: "وهُوَ يَسُوقُ الحَدِيثَ أَحْسَن سِياقٍ، وإِليكَ يُساقُ الحَدِيثُ، وَكَلَام مَساقُهُ إِلى كَذَا، وجِئْتُك بالحَدِيث على سَوْقهِ، على سَرْدِه". (الزمخشري، ١٩٩٨، ص ١/ ٤٨٤). والمعنى المجازي الذي أورده الزمخشري لسياق الحديث هو عينه ما استقر للكلام، وأضحى مصطلحًا فيما بعد عند علماء النص والبلاغة وغيرهما، وذكر البستاني أن: "سياقُ الكلامِ: أُسْلوبُهُ الّذِي يَجْرِي عَلَيْهِ". (البستاني، ١٩٨٧، ص

٤٤١). وهكذا انتقل المعنى المادي الدَّالّ على التتابع والتقاود والاتصال إلى معنى مجازي تلبّس به سياق الكلام، فأضحى يدل على تتابعه وطرائق أساليبه.

(١-٢) السياق اصطلاحًا:

نال مصطلح السياق بوجهيه المقالي والحالي تعريفات كثيرة إلا أنه لما يزل عصيًّا على التحديد بشكل دقيق (حبلص، ١٩٩١، ص ٢٨)، ولا يمكننا إعطاء جواب بسيط على السؤال: ما هو السياق؟ (لاينز، ١٩٨٧، ص ٥٧)؛ لذا تخيرت من بين تعريفات السياق تعريف فيرث؛ لشموله ووضوحه، وهو عنده تلك: "العناصر الدالة على موقف كلامي كامل، كالمتكلم، والسامع، أو السامعين، والكلام، وكل ما يحدث في أثناء الكلام من انفعالات، واستجابات، ومسالك، وكل ما يتصل بالموقف ويؤثر فيه، من قريب أو بعيد. (حسان، ١٩٩٠، ص ٢٦٢)، وهذا التعريف يشمل السياق اللغوي (الألفاظ والتراكيب، والمعاني)، وسياق الحال (كل الظروف والملابسات المحيطة بالمنجز اللغوي) والسياق الاجتماعي، والثقافي، والعوامل التطريزية كالنبر والتنغيم والأداء والوقفات والفواصل، وقد دل على ذلك كله بقوله، وكل ما يتصل بالموقف ويؤثر فيه، فيضم السياق بهذا المفهوم الشامل المتكلم والسامع، ويندرج تحته تكوين الأشخاص وتاريخهم وميولهم ورغباتهم... إلخ.

(١-٣) السياق اللغوي:

يعرفه عبد القادر عبد الجليل بأنه "كل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة، وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية، وهي تسبح في نطاق التركيب" (عبد الجليل، ٢٠٠٢، ص ٥٤٢). ويتعلّق السياق اللغوي بالجانب التركيبي للّغة من حيث تحديد معنى الوحدات اللغوية انطلاقًا ممّا قبلها وما بعدها، وهو المعنى الذي أشار له "جون ديبوا في قاموس اللسانيات وعلوم اللسان "نسمي السّياق القولي مجموعة النّصوص التي فيها تتموضع (تتحدّد) وحدة لغوية معيّنة، أي العناصر التي تسبق والتي تلحق هذه الوحدة (DUBIOS, 1999,p:116). إنّه مجموع العلاقات الدّاخلية التي تتحكّم في دلالة النّص وتمنح وحداته معناها السّياقي، ويسمى أيضًا بالسياق المقالي أو الداخلي أو سياق النص، ويشمل الأصوات والكلمات والجمل التي تتابع في حدث كلامي معين (ينظر: خليل، ١٩٨٠، ص ٢١٨). ولهذا يتفرع منه عددٌ من الأسيقة، تتمثل في السياق الصرفي، والمعجمي، والنحوي.

(١-٤) سياق الحال (الموقف):

ويسمى أيضًا بسياق الموقف أو السياق الخارجي أو المقامي، ويقصد به "كل ما يتصل بالحدث اللغوي أو النص، ويؤثر في فهمه من الظروف الاجتماعية والنفسية للمتكلم والمخاطب، وجميع من له صلة بالموقف الكلامي" (ينظر: السابق، ص ٢١٥، بشر، ١٩٩٧، ص ٩٦)، وهو باختصار "جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية" (السعران، ١٩٩٧، ص ٢٥٢).

وهناك عدد من العناصر المكونة للحال الكلامية يجب توفرها ومراعاتها في التحليل النصي، منها:

شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما "الثقافي" وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع -إن وجدوا- وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي (السابق، ص ٢٥٢)، والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل، وكالتقاليد الدينية والأعراف الثقافية والاجتماعية والأوضاع السياسية، وغيرها من الظواهر الاجتماعية التي تنعكس على الحدث الكلامي، وكمكان الكلام، وزمانه وموضوعه، وكل ما يطرأ أثناء الكلام ممن يشهد الموقف الكلامي من انفعال أو أي ضروب من ضروب الاستجابة، وكل ما يتعلق بالموقف الكلامي أيًّا كانت درجة تعلقه، وأثر النص الكلامي في المشتركين، كالاقتناع، أو الألم، أو الإغراء أو الضحك، إلخ. (ينظر: السابق، ص ٢٥٢، بشر، ١٩٩٧، ص ٩٦، الخرما، ١٩٧٨، ص ص ٩٩، ١٠٠، خليل، ٢٠٠٧، ص ص ٨٤- ٩١).

(٥-١) السياق الاجتماعي:

يشير السياق الاجتماعي والثقافي إلى البيئة الاجتماعية والثقافية التي ينمو فيها الشخص ويعيش، والتأثير الذي يمارسه ذلك على أفكاره وسلوكياته، ويشمل هذا المفهوم الجوانب التاريخية والسياسية والاقتصادية والتعليمية والدينية والأخلاقية والجمالية الموجودة في مجتمعك في مكان وزمان معين، كما يشمل المجموعات التي يتفاعل معها الفرد، مثل عائلته وأصدقائه وجيرانه وغيرهم من الممثلين، فضلًا عن العادات والمعرفة والتقدم الفني والعلمي والصناعي الذي يتطور فيه.

(https://ar.warbletoncouncil.org/contexto-sociocultural-9676)

وعرفه لحمادي من وجهة نظر لغوية بأنه: الاهتمام بالعلاقات القائمة بين السياق الاجتماعي واستعمال اللغة. (لحمادي، ٢٠٠٨، ص ١١)، وتتمتع المواقف الاجتماعية الحاضنة للنصوص بمقامات خاضعة لمعايير معينة، وتتكرر باستمرار تأخذ فيها الملفوظات قيمة فعل كلامي، والنص كفعل كلامي لا يحدده المقام الاجتماعي فقط، وإنما المقام الاجتماعي نفسه تحدده كيفية استعمال اللغة (ينظر: السابق، ص ١١، أوشان، بدون تاريخ نشر، ص ٨٧)، فكل من النص والمقام الاجتماعي يحدد بعضه بعضًا، ويؤثر كل منهما في الآخر. (لحمادي، ٢٠٠٨، ص ١١).

وقد استعان سيبويه على انتزاع قصد المتكلم بكل السياقات بدءًا من السياق اللغوي ومرورًا بسياق الحال والاجتماعي... إلخ، مع تكريسه الاهتمام بالمخاطِب والمخاطَب؛ وذلك لوعيه بما للسياقات من قُوَى فاعلة في إنتاج النصوص وفهمها وتوجيهها وقراءتها وتعيين دلالتها، وقد سار في الكتاب كله -دون مبالغة- على هذا النهج من التعويل والاستعانة بالسياق؛ بل لا أكون مغاليًا إن قلت: إنه اتخذه منهجًا في عَصْر التراكيب واستخلاص مقاصد المتكلمين ومرادهم، والقبض على الأغراض والأهداف والمعاني المختبئة والمكنونة تحت مظلة السياق.

المبحث الثاني: مفهوم القصدية:

(١-٢) القصد لغة:

هو إتيان الشيء، تقول: قَصَدْتُهُ، وقَصَدْتُ له، وقَصَدْتُ إليه بمعنًى. وقَصَدْتُ قَصْدَهُ: نحوْتُ نَحْوَهُ (الجوهري، ١٩٨٧، ص ٢/ ٥٢٤)، والقَصْدُ: الاعتمادُ والأَمُّ، قَصَدَه يَقْصِدُه قَصْدًا وقَصَدَ لَهُ وأَقْصَدَني إليه الأَمرُ، وَهُوَ قَصْدُكَ وقَصْدَكَ أَي تُجاهَك (ابن منظور، ١٩٩٣، ص ٣/ ٣٥٣)، ورماه فأقصده وتقصّده: قتله مكانه، وعضته الحية فأقصدته، وأقصدته المنيّة. ومن المجاز: قصد في معيشته واقتصد. وقصد في الأمر إذا لم يجاوز فيه الحدّ ورضي بالتّوسط. وهو على القصد، وعلى قصد السبيل إذا كان راشدًا (الزمخشري، ١٩٩٨، ص ص ٢/ ٨٠، ٨١).

(٢-٢) القصد اصطلاحًا:

تمثل القصدية إحدى المبادئ الإجرائية التي عوّلت عليها التداولية في دراسة اللغة في حال استعمالها؛ لأنه لا يمكن أن يكون تواصلٌ دون وجود مقاصد، فهي لب العملية التواصلية. (الشهري، ٢٠٠٤، ص ١٨٣)، فالمتكلم يتغيّا أن يبعث كلامه مشحونًا بالمقاصد لإفهام مخاطبيه، ويعد (جون سيرل) من أهم الفلاسفة الذين اعتنوا بالقصدية، وهي عنده: "تلك الخاصية للكثير من الحالات والحوادث العقلية، التي تتّجه عن طريقها إلى الأشياء وسير الأحوال في العالم أو تدور حولها أو تتعلق بها"(إسماعيل، ٢٠٠٧، ص ١٥١)، كما تُعَرَّفُ على أنها: "قدرة العقل في توجيه ذاته نحو الأشياء وتمثيلها، وهي خاصية مميزة للعقل يتَّجهُ من خلالها إلى الأشياء في العالم الخارجي، ويتعلق بها، وتكون الحالات العقلية قصديّة؛ لأنها تكون حول شيء ما، أو مُوَجّهَة نحو شيء ما، وتمثل شيئًا ما"(السابق، ص ١٥١).

ويذهب سيرل إلى أنّ القصديّة خاصة تربط حالات الفرد الذّهنيّة ببقيّة العالم، أي بالواقع أو بالعالم الواقعيّ، وهي تضمّ ظواهر عقلية عديدة نحو: "الإدراك، والاعتقاد، والقصد والرغبة، والحب، والأمل، والخوف، وكلّ ما يمكن أن يمثّل أشياء أو حوادث أو مواقف في العالم الخارجي، وتكون هذه الحالات والمواقف مرتبطة دائما بشيء ما" "(السابق، ص ١٥١).

وانطلاقا من القصدية العقلية فسر سيرل قصدية الأفعال الكلامية أو قصدية المعنى، وأكد أن قصدية اللغة هي قدرة أفعال الكلام على تمثل الأشياء في العالم عن طريق حالات عقلية، يقول سيرل في تفسيره للمعنى: "إليك المفتاح لفهم المعنى: المعنى صورة من القصدية المشتقة، والقصدية الأصلية أو الباطنية لتفكير المتكلم تنتقل إلى الكلمات والجمل والعلامات، وهلم جرّا" (ينظر: إسماعيل، ٢٠٠٧، ص: ٢٣٠)، فالقصد إذن "هو معنى الملفوظ كما يظهر في الخطاب، لا كما هو كامن في عقل المتكلم مؤلف الخطاب" (الطوانسي، ٢٠١٦، ص ٧٦).

لا يتضح قصد المتكلم إلا من خلال اللّغة؛ لأن المتكلم يعبّر باللغة عن مقاصده وإرادته؛ ومن ثم تنطوي خطابات المتكلم ولغته على قَصْده، ويكون قَصْدُه حاضرًا في خطابه، ولما كان القصد في العملية التواصلية

ركيزة يقوم عليه الفهم احتلّ أهمية كبرى في الدراسات التداولية، ولعلّ تلك الأهمية لمبدأ القصد في التواصل اللّغوى، هي ما جعلت الدّراسات التّداولية تكثّف من دراسته وتوليه عناية بالغة، وتعدّه محورًا رئيسًا في عملية التّواصل.

إن مقاصد الآخرين شرط أساس لنجاح التفاعل، فحين يتلفظ متكلم ما بأصوات دون إرادة ما تدل عليه، أو دون إرادة إنجاز فعل لغوي بها يعد هازلًا، إذ لا يكفي التلفظ في غياب القصد. (ينظر: الشهري، ٢٠٠٤، ص ص: ١٩٢، ١٩٣). والنطق بمجرد أصوات دون قصد هو ما سمَّاه أوستين الفعل التعبيري، فقد يتلفظ المرء بمفردات ذات دلالات معجمية وبنى صرفية صحيحة نحويًّا، إلا أنها لا تنجز فعلًا ولا تحدد قوته ما لم يصحبها القصد.

(٣-٢) مصطلحاته في التعبير عن القَصْدِ:

إن اهتمام سيبويه ووعيه بأهمية القصد لا يقل عن اهتمام سيرل وأوستين وهوسرل وفتجنشتاين وغيرهم، وينحصر الفرق بين صنيع سيبويه وصنيعهم في أنه لم يضع أسس القصدية وقواعدها، وإنما تحدث عنها بالفطرة، فجاء حديثه ومسلكه عنها عفويًّا لكننا إذا ضممنا تلك الأشتات المتفرقات وننضدناها نتحصل على نظرية مكتملة أو شبه مكتملة.

وقد تنوعت سبل سيبويه ومصطلحاته في التعبير عن القصد، فاستعمل ألفاظ القصد صراحة في العديد من المواضع، من ذلك قوله: "لأنك إنما قصدت قصدَ شيءٍ بعينه" (سيبويه، ص ٢/ ١٩٧)، وقوله: "لأنَّك تقصد قصد أن يبين لك أي الاسمين في هذا الحال...؛ لأنه قصد قصد أحد الاسمين... فإنما يفرغ مما يقصد قصده بقصته" (السابق، ص ٣/ ١٧٠)، وقوله: "فإذا قصدوا قصد الشيء بعينه" (السابق، ص ٢/ ١٩٨)، وقوله: "لأنَّك قصدت قصد الأب" (السابق، ص ٣/ ٢٤٩). وعبّر عنه بلفظ "الإرادة" بكل مشتقاته، فاستعمل "أراد" ماضيًا للمخاطَب، كقوله: "وإن قلت رأيتُ فأردْتَ رؤيةَ العين" (السابق، ص ١/ ١٤٠)، وقوله: "واعلم أنك إذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن" (السابق، ص ٣/ ١٦٩)، وبالماضي الغائب، كقوله: "أَرادَ مكّةَ واللهِ، كأَنّك أخبرتَ بهذه الصفّة عنه أنّه كان فيها أمسِ، فقلتَ: مكة والله، أي أراد مكة إذ ذاك" (السابق، ص ص ١/ ٢٥٧، ١/ ١٥٢، ٢٠٣، ٢١٩، ٣٩١، ٢/ ٥٠، ٢٥٤، ٣/ ٤٢، ٤٥)، وماضيًا مسندًا لواو الجماعة لبيان قصد الجماعة اللغوية، فقال في تقدير الحذف لكثرة الاستعمال في قولهم: "إمّا لا": "أنهم أرادوا إن كنت لا تفعل غيره فافعلْ كذا وكذا إمالا، ولكنهم حذفوه لكثرته في الكلام" (السابق، ص ٢/ ١٢٩)، ومضارعًا للمخاطب، كقوله: "ولكنّك إنما تريد بوجدت عَلِمْتُ" (السابق، ص ١/ ١٤٠). ويدل هذا الكمّ والتنوع للمصطلحات الدالة على القصد دلالة واضحة على اهتمامه بقصد المتكلم، وجعله لبًّا للتواصل وركنًا رئيسًا في استعمال اللغة والوصول إلى الفهم من خلالها؛ لأن من غير هذه القصدية "فإن ما نسمعه لا يعدو أن يكون مجرد لغو أو موجات صوتية أو حبرًا على ورق لا عبرة منه" (إسماعيل، ٢٠٠٧، ص ٢٣٠)؛ كما أنه أدرك أن المتكلم يقصد من وراء كلامه أمرًا ما، ويسعى جاهدًا لتوصيله إلى مخاطبه وإفهامه مراده.

واستعان سيبويه بالألفاظ غير الصريحة في الدلالة على قصد متكلميه، كاستعماله الفعل جعل مريدًا به تفسير قصد المتكلم، كقوله: "وتقول: من كان أَخاك، ومن كان أخوك، كما تقول: مَن ضربَ أباك إذا جعلتَ مَنْ الفاعلَ، ومن ضربَ أبُوك إذا جعلت الأبَ الفاعلَ" (سيبويه، ص ١/ ٥٠).

وتوغّل في نَفْس المتكلم؛ ليصل إلى هدفه وقصده؛ لذا نراه يَبْرُز بالشرح أو يتقمص شخصية المتكلم التي عبر عنها بقوله: "كأنك قلت" وقد وردت في الكتاب مائة وإحدى وثمانين مرة، كقوله: "قولهم: مَنْ ذا خيرٌ منك... فإن أومأتَ إلى إنسان قد استبان لك فضلُه عليه، فأردتَ أن يُعلِمَكَه نصبتَ خيرًا منك، كما قلت: مَن ذا قائمًا، كأنك قلت: إنما أريد أن أسألك عن هذا الذي قد صار في حالٍ قد فَضَلَك بها" (السابق، ص ٢/ ٦١). وأحيانًا يعبّر عنه بقوله: "كأنه قال"، والأمثلة على ذلك تتجاوز مائتي تفسير في مواضع شتى من الكتاب، من ذلك قوله: وذلك قولهم: أَيَّهم تَر يأتِك، وأَيُّهم تَرَهُ يأْتِك. والنصبُ على ما ذكرتُ لك؛ لأنه كأنه قال: أيَّهم تَرَ تَرَهُ يأتِك" (السابق، ص ١/ ٨٤).

كما أنه يستعمل أداة التفسير (أي) في إماطة اللثام عن قصد المتكلم، كقوله: "ولو رأيت ناسًا يَنظرون الهِلالَ وأنت منهم بَعيدٌ فكبَّروا لقلتَ: الهلالَ وربَّ الكعبةِ؛ أي أَبَصروا الهلالَ، أو رأيتَ ضَرْبًا فقلت على وجهِ التَّفَاؤُلِ: عبدَ الله؛ أي يَقَعُ بعبدِ الله أو بعبدِ الله يكونُ" (السابق، ص ١/ ٢٥٧)، وما ذكرته من مصطلحات سيبويه وطرقه في التعبير عن القصد ما هي إلا نمذجة لغيض من فيض.

الفصل الثاني: أثر السياق الاجتماعي في الوقوف على مقاصد المتكلمين في الأمثال وأشباهها وتراكيب المو اقف اليومية:

المبحث الأول: التداولية الاجتماعية للأمثال وأشباهها وتراكيب المو اقف اليومية:

تعد الأمثال خير مثال على السياق الاجتماعي؛ لأنها أهم ما تتمخض عنه السيرورة الاجتماعية؛ لما تنطوي عليه من التركيز والاختصار والخلاصة والتجربة وكثرة الدوران على الألسنة، ولا سيما بعد إلقاء ملقيه للمرة الأولى؛ فيتصادف أن يصيب مقصود كثير من أبناء المجتمع وأغراضهم، فيتمثل به، ويضربه في كل موقف مشابه لمورد المثل، فينال من الذيوع والشهرة الاجتماعية وكثرة التداول على ألسنة مستخدمي اللغة إلى أن تصير تلك الأمثال عادة لغوية وعرفًا اجتماعيًّا بين أبناء الجماعة اللغوية، لهذا كله كثُر فيها الاجتزاء والحذف والاختصار، وقد استنبط سيبويه وأصّلَ لذلك تحت عنوان: "هذا بابٌ يُحْذَفُ منه الفعل لكثرته فى كلامهم حتى صار بمنزلة المَثَل" (سيبويه، ص ١/ ٢٨٠)، وذكر تحته عددًا من الأمثلة التي ساغ حذف أحد أركانها اعتمادًا على تداوليتها الاجتماعية وكثرة استعمالها تخفيفًا، ولقدره وأهميته ذكره في مواضع كثيرة، وعبّر عنه بكل مشتقاته، كقوله: "فالعرب مما يغيرون الأكثر في كلامهم عن حال نظائره" (السابق، ص ص ٢/ ١٩٦، ٢٠٨، ٤١٣، ٤١٤، ٣/ ٢٤٩، ٤٨٦، ٥٠٥، ٤/ ١١١) ، وقوله: "وحذفوا الفعلَ من إيّاك لكثرة استعمالهم إيّاه فى

الكلام" (السابق ص ص، ١/ ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٥، ٢/ ١٢٩، ١٣٠، ١٧٩، ٢٠٨، ٢٥٦، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣/ ٢٨٨، ٢٨٩، ٤٠٠، ٤٨٦، ٤٩٩، ٥٢٩، ٥٤٦، ٤/ ٣٣٥، ٣٦٥) ، وقد يعبر عنه بالفعل كقوله: "فذا مَثَلٌ قد كَثُرَ في كلامهم واستُعمل... واستغنوا عن إظهارِه"(السابق، ص ص ١/ ٢٨٠، ٢٨١، ٢٩٢، ٢/ ١٨٥، ١٩٦، ٣/ ١٦٨، ٢٨٣، ٤٩٨، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٤/ ٤٤، ١٢٧، ١٨٤، ٣٩٩، ٤٨٢، ٤٨٤)، وفي كثرة استعماله لـ (كثرة الاستعمال) دلالة على اهتمامه وعنايته بقدر السياق الاجتماعي وهيمنته على لغة المخاطبين.

ويمكننا أن نقسم التراكيب التي رصدها سيبويه وكثر جريانها على ألسنتهم إلى الأمثال، وأشباه الأمثال، وتراكيب المواقف اليومية، وهي تراكيب واسعة الشهرة، وأعني بها: التراكيب التي كثر تداولها في مواقف ثابتة ومحددة تتكرر في الحياة اليومية، وتواطأ أفراد الجماعة اللغوية على استعمالها في صور ثابتة وأنماط محددة، وكثر تداولها إلى أن أضحت أعرافًا لغويةً ملتزمةً لا يحيدون عنها.

(١-٣) التداولية الاجتماعية للأمثال:

عرّف الشيخ خالد الأزهري الأمثال بأنها: "كل كلام مركب مشهور شبه مضربه بمورده، نحو: الْكِلابَ عَلَى الْبَقَرِ" (الأزهري، شرح التصريح، ٢٠٠٠، ص ١/ ٤٧٣)، وعرفها الأصفهاني بأنها: "عبارة عن قول في شيء يشبه قولًا في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبيّن أحدهما الآخر، ويصوّره، نحو قولهم: الصيفَ ضيَّعتِ اللَبَنَ؛ فإن هذا القول يشبه قولك: أَهملت وقت الإمكان أَمرَكِ" (الأصفهاني، ١٤١٢، ص ٧٥٩، الفيروزبادي، ١٩٩٢، ص ٤٨٢/٤).

تعد الأمثال من أكثر التراكيب ذيوعًا وشهرة وتداولًا بين أفراد الجماعة اللغوية؛ ولهذا اهتم بها سيبويه وأفْرَدَ لها بابًا مستقلًا تحت عنوان: (هذا بابٌ يُحْذَفُ منه الفعل لكثرته في كلامهم)، ذكر تحته عددًا من الأمثلة التي كثر تداولها، ومن الأمثال التي ساقها ضمن عدد من الأمثال والأمثلة لشيوعها في لغتهم فأضمروا الفعل المتروك إظهاره؛ لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المَثَل) قوله: وَراءَك أَوْسَعَ لك (سيبويه ص ١/ ٢٥٥، الميداني، ص ٢/ ٣٧٠)، ومعناه: "خَلِّ هذا المكانَ الذي هو وراءك، وائْتِ مكانًا أوسعَ لك. فالأوّل منهيٌّ عنه، والثاني مأمورٌ به، إلاّ أنّ أفعالَ هذه الأشياء لا تظهر؛ لأنّه كثُر استعمالها، وعلِم المخاطَبُ أنّه محمول على أمرٍ غيرِ ما كان فيه، فصارت هذه الأسماءُ عِوَضًا من اللفظ بالفعل. (ابن يعيش، ٢٠٠١، ص ١/ ٣٩٥)، فهذا التركيب المجتزأ يستعمله كل أفراد الجماعة اللغوية كثيرًا، يلقيه المتكلم ويعيه المخاطب؛ لأنه أصبح عرفًا اجتماعيًا، وموروثًا لغويًا يعرفه ويفهمه مجتزءًا كلُّ أفراد المجتمع، ومثل ذلك قولهم: "أَهْلَكَ والليلَ... استغنوا عن ذكر الفعل؛ لكثرة الاستعمال التي ألحّ عليها سيبويه مرتين بقوله: وإنّما حذفوا الفعلَ في هذه الأشياءِ حين ثَنَّوْا لكثرتها في كلامهم، ... وشُبِّهَتْ بإيّاك حيث طال الكلامُ، وكان كثيرا في الكلام. (انظر: سيبويه، ١/ ٢٧٥)، فالحذف راجع إلى الشهرة الاجتماعية والخلفيات المعرفية المشتركة بين أبناء الجماعة اللغوية، وعلل سيبويه اجتزاء العرب للمثل: كِلَيْهما وتمرًا (سيبويه ص ١/ ٢٨٠، الميداني، دون تاريخ نشر، ص ٢/ ١٥١، الزمخشري، المستقصى،

١٩٨٧، ص ٢/ ٢٣١) بكثرة الاستعمال والذيوع والشيوع بين كل أفراد الجماعة اللغوية؛ فقد تواطؤوا على استعماله بصورته المجتزأة إلى أن أضحى هذا النمط التركيبي عرفًا لغويًا، وإرثًا ثقافيًا.

وذكر سيبويه المثل: هَذا وَلَا زَعَماتِك (سيبويه، ص ١/ ٢٨٠)، ولم أجده مُدْرجًا في أيٍّ من كتب الأمثال، وهو "يقال لمن يزعم زَعَماتٍ، ويصحّ غيرُها، فلمّا صحّ خِلافُ قوله قيل: "هذا ولا زعماتِك" أي: هذا هو الحقُّ، وَلا أَتَوَهَّمُ زعماتِك؛ أي: ما زعمتَه" (ابن يعيش، ص ١/ ٣٩٤، السيوطي، بدون تاريخ، ص ٢/ ١٨)، وقدّر سيبويه الفعلَ المختزلَ وجوبًا بـ: أَتَوَهَّمُ؛ "أى: ولا أَتَوَهَّمُ زَعَماتِك، وذهب إلى أن السبب وراء استغناء العربي عن الفعل (وَلا أَتَوَهَّمُ) يعود إلى سببين مجتمعين معًا، السبب الأول يتصل بما جرت عليه أعرافهم اللغوية؛ حيث تواضعت الجماعة اللغوية على مثل هذه التراكيب يقولها القاصي والداني، ويعلم غرضها الكبير والصغير، واصطلح سيبويه على ذلك بـ:"كثرة استعمالهم إيَّاه" (سيبويه، ص ١/ ٢٨٠، ٢٨١)، والسبب الآخر يرجع إلى قرائن الأحوال التي أغنت المتكلم عن ذكر الفعل، وتتمثل في الأداء والزجر والنهي والتنغيم وما إلى ذلك مما يُسْتَبانُ منه أنه ينهاه عن تلك الزعامات، وعبَّر عنها بقوله: "ولاستدلاله مما يَرَى من حاله أنَّه يَنْهاه عن زَعْمه" (السابق، ص ١/ ٢٨٠، ٢٨١)، وذهب التلمساني إلى أن السبب وراء اختزالهم الفعل في مثل هذه التراكيب يؤول إلى وضوح المعنى وقيامه عند المخاطب مع مراعاتهم علم السامع (انظر: التلمساني، ١٩٩٧، ص ٤/ ٨٣)، ويُسْتَشَفُّ من كلام التلمساني أن مثل هذه التراكيب تجذّرتْ في لغتهم إلى أن صارت جزءًا من أعرافهم اللغوية، ويقوى هذا الفهم ما ذهب إليه ابن يعيش؛ حيث جعل سبب اقتضابهم "أتوهّم" وشِبْهُه، أنّه جرى مَثَلًا، والأمثالُ لا تُغيَّر، وظهورُ عامله ضربٌ من التغيير. (ابن يعيش ص ١/ ٣٩٤)، فابن يعيش يعتد بالتزام الأعراف والثقافات بهذا النمط، وسيبويه يعول على أن الشيوع والشهرة وكثرة التداول هي الأسباب وراء اجتزاء هذا العنصر التركيبي، والتلمساني يرجع سبب الحذف وانتشار المثل على هذا النمط المجتزأ إلى وضوح المعنى عند أفراد الجماعة اللغوية، وهو ما يطلق عليه في التداولية الحديثة بالافتراض المسبق؛ أي: المعلومات المشتركة لدى المتكلم والمخاطب. (انظر: بوجادي، ٢٠٠٩، ص ١٤٩)، وكلٌ لمس وأصاب طرفًا من المسوغات، وهم بذلك يجتهدون في إبانة الأسباب التي تُرَسّخ لمثل هذه الأنماط في الثقافة والعادات والأعراف اللغوية.

كما ذكر سيبويه المثلين:كلَّ شَيْءٍ ولا هذا، وكُلَّ شَيْءٍ ولا شَتَيمةَ حُرٍّ " (سيبويه ص ١/ ٢٨١)، ولم أعثر عليهما في أيّ كتاب من كتب الأمثال، وعزا الحذف فيهما إلى سببين: أولهما: كثرة استعمالهم إيّاه، فأُجرى مُجرى: ولا زَعَماتِك، وذهب ابن يعيش إلى أن سبب حذف الفعل في هذين المثلين وما شابههما كونهما أمثالًا، بقوله: "ولم تظهر الأفعالُ في هذه الأشياء كلها؛ لأنّها أمثال" (ابن يعيش، ص ١/ ٣٩٤)، ويفهم من كلامه أن للأمثال حصانة خاصة في الأعراف اللغوية لا يجب مخالفتها، لما تمتاز به من وجازة في اللفظ، ودقة في التعبير، وما تحمّل به من الحكمة وخلاصة الخبرة؛ وهو ما بَيّنَهُ السيرافي حين عرض لسبب الحذف من الأمثال بقوله: "فإن قال

قائل: ما السبب الذي سوغ الحذف في الأمثال؟ قيل له: أصل الأمثال أن يتكلم الإنسان بحضرة قوم، وفي كلامه من الألفاظ ما يستطرفه بعضهم، فيعيد اللفظ المستطرف، فربما أعاد جملة الكلام، وربما كان على سبب لا يعيده ولا يذكره ولا يتم إلا بذلك السبب، ويقع فيه ضمير ليس في الكلام ما يعود إليه؛ لأن المتمثّل استطرفه وتمثّله فلا حاجة به إلى ذكر ما حذف من الكلام؛ لأن المتبقي هو المثل" (السيرافي، ص ٢/ ١٧٩).

وردّ سيبويه السبب الثاني للحذف إلى الأحداث المحيطة بالمنجز الكلامي من دلالة الحال والتلوينات الصوتية كالنبر والتنغيم التي عبّر عنها في تحليله سبب الاستغناء عن الفعل في المثلين السابقين بقوله: "وتَرك ذكرَ الفعل بعد لا، لما ذكرتُ لك، ولأنه يَستدلّ بقوله: كل شيء، أنَّه يَنهاه" (سيبويه ص ١/ ٢٨١) فطريقة نطق (لا) منغمة وبكيفية ما تنم عن حذف الفعل، كما أنه يستدل بقوله: كُلّ شيء بنطقه بنغمة عالية على النهي عن هذا الأمر.

فالعنصر المختزل من الأمثال لا يجوز إظهاره أو النطق به؛ لأن مثل تلك التراكيب صارت أعرافًا اجتماعيّةً وموروثاتٍ ثقافيّةً تؤدى في مواقفها الاجتماعيّة المناسبة، والأعراف والموروثات مما تواضع أبناء الجماعة اللغوية على الالتزام بها واحترامها وتأديتها كما هي دون تغيير أو تبديل. (انظر: الغوينم، ١٤٣٢، ص ٧٩٨)، ويعد تعليل سيبويه الحذف بكثرة الاستعمال مساويًا لما أطْلَقْتُ عليه التداولية الاجتماعية، التي تتمثل في ذيوع وانتشار بعض الوحدات التركيبية واستعمالها ونطقها بهيئات مخصوصة بين أبناء الجماعة اللغوية إلى أن تصير جزءًا من عاداتهم، وتتأصل في ثقافاتهم، وتضحي أحد أعرافهم اللغوية.

(٢-٣) التداولية الاجتماعية لأشباه الأمثال:

يقصد بشبه المثل: "كُلُّ كلامٍ اشْتُهِرَ، وبِسَببِ شُهْرتِهِ شُبّه بالمثل؛ فأُعْطِي حُكْمُهُ، مِنْ أَنَّهُ لا يُغَيّر" (الجوجري، ٢٠٠٤، ص ٢/ ٤٢١، الأزهري، ص ١/ ٤٧٣)، فهي عبارات مقتضبة شاعت بين قائليها، ويرى عباس حسن أنها تقل درجة في شهرتها عن الأمثال؛ فلا تبلغ مبلغها في الشهرة وكثرة الاستعمال والتعميم. (حسن، ص ٤/ ١٣٨)، وقد التفت سيبويه إلى كثرة هذه التراكيب وشيوعها بين أبناء الجماعة اللغوية، فعوّل عليها في تأصيله لقواعد النحو، واستدل بها كما استشهد بالأمثال، وأنها تعامل معاملتها في جواز الترخص شأنها في ذلك شأن الأمثال؛ لأن هذه التراكيب تدور على ألسنتهم، وتتكرر كثيرًا في حياتهم، وقد ذكر سيبويه عددًا من تلك التراكيب التي اختزلت الجماعة اللغوية أفعالها في باب المفعول به، ومن الشواهد التي ساقها سيبويه لكثرة الاستعمال قول ذي الرمة (ذو الرمة، ص ٣، سيبويه، ص ١/ ٢٨٠):

ديارَ ميَّة إذْ ميٌّ تُسَاعِفُنَا ... ولا يَرى مثْلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ

استدل به سيبويه على أنه أحد التراكيب التي كثر فيها حذف الفعل حتى صار بمنزلة المثل، والتقدير: "أذْكُرُ ديارَ مَيّة، ولكنّه لا يذكر أذكر لكثرة ذلك فى كلامهم، واستعمالهم إيّاه، ولما كان فيه من ذكر الدَّيار قبل ذلك" (سيبويه، ص ١/ ٢٨٠)، فاستغناء الشعراء عن الفعل والفاعل حينما يذكرون ديار المحبوبات خير شاهد ومترجم لأعرافهم اللغوية والاجتماعية؛ إذ تواتروا جميعًا على تلك الطريقة التي أضحت نمطًا لغويًا وإرثًا ثقافيًّا

لا يحيدون عنه، فتواضع الشعراء من أبناء الجماعة اللغوية على الالتزام به واحترامه وتأديته كما هو دون تغيير أو تبديل، وقد وعى عبد القاهر الجرجاني أثر الأعراف الاجتماعية واللغوية في مثل تلك الأنماط، فقال: وكما يضمرون المبتدأ فيرفعون، فقد يضمرون بالفعل، فينصبون كبيت الكتاب... ويقرر أن تلك طريقة جارية عندهم، وعبارته تدل على توغّل عاداتهم في هذا السياق؛ لأنه يقول: "وهذه طريقةٌ مستمرَّةٌ لهم إذا ذكروا الديار والمنازل" (الجرجاني، ١٩٩٣، ١/ ١٤٧، أبو موسى، دون تاريخ نشر، ص ١٦٤)، فعبر سيبويه عن أعرافهم اللغوية بكثرة الاستعمال، ونص الجرجاني عليها بأنها طريقة مستمرة لهم، وكلا العالمين فَهِمَ أنّ ذلك النَّمَطَ التعبيريَّ ما هو إلا موروثٌ ثقافيٌّ وعرفٌ اجتماعيٌّ تواضعوا عليه؛ لينتقل معهم من جِيلٍ إلى جِيلٍ يُؤَدُّونَهُ في كل موقف اجتماعي وعاطفي تمتلأ فيه قلوب الشعراء المحبين بلهيب الأشواق لديار المحبوبات، والوقوف على منازلها، والتحسر على أطلالها.

وثمة استفهام استنكاري كثر دورانه على ألسنتهم، وهو ما يرويه سيبويه من قول العرب: "مَنْ أنتَ زيدًا، فزعم يونسُ أنّه على قوله: مَنْ أنت تَذكُر زيدًا، ولكنه كثر فى كلامهم، واستُعمل واستغنوا عن إظهارِه... وصار كالمثل الجارى، حتّى إنهم لَيسْألون الرجل عن غيره فيقولون للمسؤول: مَنْ أنتَ زيدا، كأَنّه يكِلّمُ الذى قال: أنا زيدٌ، أى أنت عندى بمنزلة الذى قال: أنا زيدٌ، فقيل له: من أنت زيدًا. (سيبويه، ص ١/ ٢٩٢)، فأرجع سيبويه الحذف في الجملة (من أنت زيدًا؟) التي هي كالمثل الجاري على حدّ قوله إلى كثرة تداولها بين الجماعة اللغوية؛ لأن أصل شبه المثل "أنّ رجلًا غيرَ معروف بفضل تسمَّى بـ: زيد، وكان زيدٌ مشهورًا بالفضل والشجاعة، فلمّا تسمَّى الرجل المجهول باسم ذي الفضل، دُفع عن ذلك، فقيل له: من أنت زيدًا؟ على جهةِ الإنكار، كأنّه قال: من أنت تذكر زيدًا، أو ذاكرًا، لكنه لا يظهر ذلك الناصبُ؛ لأنّه كثُر في كلامهم حتى صار مَثَلاً، ولأنّه قد عُلم أنّ زيدًا ليس خبرًا، فلم يكن بُدٌّ من حَمْله على فعلٍ، ولا يقال ذلك إلّا جَوابًا، كأنّه لما قال: أنا زيدٌ، قيل: من أنت تذكر زيدًا، أو ذاكرًا زيدًا؟". (ابن يعيش، ص ١/ ٣٩٥). ولا يكون ذلك إلا في سياق حواري بين اثنين فكأن مدعيًّا خصال النبل والكرامة والشهامة والشجاعة والفضل قال: أنا زيد فاسْتُنْكِر عليه ذلك فقيل له من أنت زيدًا، وتُدُولت هذه الجملة فيما بينهم، وأضحت جوابًا لكل مُدَّعٍ فضلًا أو بطولة أو نبلا.

ومما يندرج تحت شبه الأمثال قوله تعالى: ﴿انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ (النساء: ١٧١) وعلل سيبويه حذف الفعل هنا بكثرة استعمالهم إياه، وعلم المخاطب، وهو يعول في ذلك على السياق الاجتماعي والثقافي السائد بين أبناء اللغة؛ إذ تواضعوا واتفقوا ضمنًا على طَيّ بعض عناصر ذلك التركيب، وهم بذلك يعقدون الآصرة بين المتكلم والمخاطَب والنظام المشترك بين أصحاب اللغة؛ أي أنهم يرتكزون على ما هم عليه قبل إجراء الخطاب من المعلومات المشتركة لدى المتكلم والمخاطب، وهي معلومات متراكمة نقشتها ثقافاتهم وموروثاتهم، وتشكلت في وجدانهم وذاكرتهم، وبناء على هذا الكم المدسوس في صدورهم من المعلومات يقومون بإسقاط بعض عناصر

التراكيب معولين في ذلك على المعرفة السائدة والثقافة المشتركة والأعراف اللغوية القائمة بين كل أفراد الجماعة اللغوية.

(٣-٣) تراكيب المواقف الحياتية اليومية:

تتمخض الحياة الاجتماعية اليومية عن كثير من التراكيب القصيرة التي تتشقق عنها المواقف الحياتية وتطرحها احتياجات الناس، كالتَّرْحِيبِ والتَّحَايا والسَّلامِ والتَّوْدِيعِ والتَّبَايعِ والغَضَبِ والْمُبارَكَةِ والدُّعاءِ بالقُدُومِ والوَداعِ والْخَيْرِ والشَّرِّ والشُّكْرِ والْحُبِّ والْمَسَرَّةِ والْعَجَبِ... إلخ، وهي أمور تستوجب من أبناء الجماعة التفاعل معها، وجرت العادة عليها؛ فاتفقوا على عباراتٍ ثابتةٍ وتراكيبَ نَمَطِيّةٍ معلومةٍ تقال في كل هذه المواقف، وكثر الحذف فيها؛ لأنها صارت أنماطًا معلومة لكلِّ فرد في الجماعة اللغوية؛ ولأن سياق الحال يفصح دائمًا عن العنصر المختزل الذي طواه الاستعمال طيًّا فأضحى نسيًا منسيًا على ألسن كل أفراد الجماعة اللغوية خاصتهم وعامتهم.

ومن ذلك قولهم: "مَرْحَبًا، وأَهلًا... فإنَّما رأَيتَ رجلًا قاصدًا إلى مكانٍ أو طالبًا أمرًا فقلتَ: مَرْحَبًا وأَهْلاً؛ أي أدركتَ ذلك وأُصبتَ، فحذفوا الفعلَ لكثرة استعمالهم إيّاه، وكأَنّه صار بدلًا من رَحُبَتْ بلادُك وأَهِلَتْ" (سيبويه، ص ١/ ٢٩٥)، ومعنى كلام سيبويه أن (مرحبا وأهلا) تعربان مفعولا به، وهو رأي الخليل أيضًا، ومعناه عنده: "نزلت رُحْبًا، أي: سعة، وأتيت أهلًا لا غرباء". (الخليل، دون تاريخ نشر، ص ٤/ ٩٠)، وإليه ذهب الأَصْمَعِيّ: و"تأويل مرحبًا وأَهلًا وسهلًا: لقيت مرحبًا؛ أَي سعة، ولقيت أَهلًا كأَهلك، ولقيت سهلًا في أُمورك، أَي سهّلها الله عليك ولك... أما الفَرَّاءُ فيرى أن: مرحبًا وأَهلًا وسهلًا حروف وُضِعت في موضع المصدر؛ والتأويل رَحَّب الله بك ترحيبًا، وأَهّلك الله تأهيلًا، وسهّل أَمورك تسهيلًا؛ فأَقيمت الأَسماء مقام المصادر" (انظر: ابن الأنباري، الأضداد، ١٩٨٧، ص: ٢٥٧، أبو بكر الأنباري، الزاهر، ١٩٩٢، ص ١/ ٢٣٤)، وسواء أكانت منصوبة على أنها مفاعيل لفعل محذوف أم على المصدرية (مفعولا مطلقا) فإنها تعد من أكثر التراكيب استعمالًا في حياة الأفراد اليومية إذ تأتي على قمة التراكيب الاجتماعية التي تفرضها وتفرزها الحياة اليومية في كل المجتمعات اللغوية والبيئات على مختلف طباعها ومشاربها وجنسياتها وثقافاتها، ولينظر أحدنا كم مرة يقول هذا التعبير في يومه.

ومن التراكيب الموجزة التي أوجدتها الحياة الاجتماعية على هيئة مخصوصة تراكيب يستعملها المتكلم في سياق تخاطبي في الدعاء بالخير أو الشر، وذكرها سيبويه تحت (باب ما يُنْصَبُ من المصادر على إضمارِ الفعل غير المستعمل إظهاره) وعدّد كثيرًا من المصادر التي اختزل المتكلم أفعالها في الدعاء بالخير، وذلك قولك: سَقيًا وَرْعيًا، أو الدعاء بالشر، نحو قولك: خَيْبةً، ودَفرًا، وجَدْعًا وعَقْرًا، وبؤسًا، وأُفَّةً وتُفَّةً، وبُعْدًا وسُحْقًا. ومن ذلك قولك: تَعْسًا وتَبًّا، وجُوعًا، وجُوسًا. (سيبويه، ص ١/ ٣١١)

وأرجع سيبويه سبب اختزال الفعل لإحاطته وتَسّوره بأكثر من سياق، أولها السياق المقالي، وهو دلالة المصدر على الفعل المحذوف فقال: "إنَّما اختُزل الفعلُ ها هنا لأنَّهم جعلوه بدلاً من اللفظ بالفعل، كما جُعل الحَذَرَ بدلا من احذرْ. وكذلك هذا كأَنَّه بدلٌ من سَقاك اللهُ ورَعاك اللهُ، ومِن خَيَّبَك الله. (سيبويه، ص ١/ ٣١٢) وثانيها: دلالة الحال المفهومة من قوله: "وإنما يَنتصب هذا وما أشبهه إذا ذُكر مذكورٌ فدعوتَ له أو عليه، على إضمار الفعل، كأَنّك قلت: سَقاك الله سَقيًا، ورَعاك الله رعيًا، وخيّبَكَ اللهُ خيبةً. فكل هذا وأشباهه على هذا يَنتصب".(السابق، ص ١/ ٣١٢) فسيبويه يجعل انتصاب هذه المصادر مرهونة بورودها في سياق تخاطبي، وثالثها: السياق الاجتماعي الذي جعل المتكلمين يختزلون أفعال هذه التراكيب، لكثرة المواقف التي تطلب هذه التراكيب ما جعلها تشيع في أحاديثهم، وتكثر على ألسنتهم، ويعيها كل أفراد الجماعة اللغوية دون حاجة إلى إلى أفعالها؛ "لأن هذا قد كثر فيها، وفهم المعني" (أبو حيان، التذييل دون تاريخ نشر، ص، ٧/ ١٩٠) وصارت عرفًا وعادة وهو ما ألمح إليه الرضي بقوله: و"سَقْيا: أي سقاكِ الله سقيًا، دعاء لها بالسقي، على عادة العرب في طلب السقي لمنازل أحبابهم" (الرضي شرح شافية ابن الحاجب، ١٩٧٥، ص ٤/ ١٧٦)، فالفعل متروك في مثل هذه الجمل؛ لدلالة المصدر عليه؛ وبسبب الأعراف اللغوية المترسخة بين أبناء الجماعة اللغوية؛ وعلم المخاطب وفهمه فهمًا صريحًا لمثل هذه التراكيب؛ فتركوا أفعالها استغناء بعلمه.

وقد تأتي هذه التراكيب إنشائية غير طلبية، وأعني بها "المصادر الدالة على معنى يريد المتكلم إعلانه وإقراره، والتسليم به، من غير طلب شيء، أو عدم إقراره (حسن، ص ٢/ ٢٢٣)، كقولك: "حَمْداً وشُكْراً لا كُفْراً وعَجَبًا" (سيبويه، ص ١/ ٣١٨)، وقد تكون جوابًا لمن دعا إلى الفعل، نحو قولهم: "أَفْعَلُ ذلك وكَرامةً ومَسَرَّةً ونُعْمَةَ عَيْنٍ، وحُبًّا ونَعامَ عَيْنٍ، ولا أَفْعَلُ ذاك ولا كَيْدًا ولا هَمًّا، ولأَفعلنّ ذاك ورَغْمًا وهوانًا" (السابق، ص ١/ ٣١٩) فهو جواب عن قول قائل: هل تفعل ذلك؟ أو أتفعل ذلك؟ فتجيب: أفعله وأُكْرِمُك كَرامةً، وأَسُرُّك مَسَرّةً، وقد تكون الإجابة بالرفض؛ أي لا أفعل ذلك ولا أَكادُ كَيْدًا ولا أَهُمُّ هَمّاً، ولأفعلنّ وأُرْغِمُك رَغْمًا وهوانًا.

ويرى سيبويه أن الفعل إنّما اختُزِلَ هاهنا فجاء النمط التركيبي مضغوطًا؛ "لأنَّهم جعلوا هذا بدلًا من اللفظ بالفعل، كما فعلوا ذلك فى باب الدُّعاء. كأَنّ قولك: حَمْدًا فى موضع أَحْمَدُ الله، وقولك: عَجَبًا منه فى موضع أَعْجَبُ منه، وقولَه: ولا كَيْدًا فى موضع ولا أَكادُ ولا أَهُمُّ. (سيبويه، ص ١/ ٣١٩)، وهو يركز هنا على السياق المقالي؛ إذ يدل المصدر المذكور على الفعل غير المذكور، وأرى أن لورود هذه التراكيب على تلك الصورة المختزلة أسبابًا عدة يأتي في مقدمتها كثرة استعمال هذه التراكيب في كثير من المواقف الحياتية اليومية، وفطن إلى ذلك بعض شراح الألفية فعدوا كثرة الاستعمال مسوغًا لمجيء هذه المصادر على تلك الصورة المختزلة (انظر: ابن الناظم، ٢٠٠٠، ص١٩٥، الأزهري، ص ١/ ٥٠٢)، وثانيها: جريانها مجرى الأمثال، وأشار إلى ذلك ابن عصفور فقال: "لا يستعمل كفرًا إلا مع حمدًا أو شكرًا ولا يقال حمدًا وحده وشكرًا إلا أن يظهر الفعل على الجواز، ولا

يلتزم الإضمار إلا مع لا كفرًا، جرت مجرى المثل، فينبغي أن يلتزم فيها ما التزمته العرب" (أبو حيان، الارتشاف، ١٩٨٩، ص ٣/ ١٣٦٨، التذييل، ص ٧/ ١٩٥، الأزهري، ص١/ ٥٠٣، السيوطي، ص ٢/ ١١٩، الصبان، ١٩٧٩، ص ٢/ ١٧٢)، وثالثها العرف اللغوي، وهو ما عبروا عنه بألفاظ مسموعة أو مصادر سماعية، ونبهوا عليه بقولهم: "فينبغي أن يلتزم فيها ما التزمته العرب" (أبو حيان، الارتشاف، ص ٣/ ١٣٦٨، التذييل، ص ٧/ ١٩٥، الأزهري، ص١/ ٥٠٣، الصبان، ص ٢/ ١٧٢)، وأحسب أن قول العرب: حمدًا وشكرًا لا كفرًا من أوضح التراكيب التي يتجلى فيها العرف اللغوي والسياق الاجتماعي؛ إذ يجب الحذف حين يتكلم بالثلاثة مجتمعة(انظر: أبو حيان، الارتشاف، ص ٣/ ١٣٦٨، التذييل، ص ٧/ ١٩٥، الأزهري، ص١/ ٥٠٣، السيوطي، ص ٢/ ١١٩، الصبان، ص ٢/ ١٧٢)؛ ولهذا جرت مجرى المثل، وانبغى التزام ثلاثتها مجتمعة في حال وجوب حذف الفعل مراعاة للمأثور واحترامًا للثقافة والتقاليد الاجتماعية والأعراف اللغوية.

كما تمخضت الأعراف الاجتماعية عن عدد من المصادر التي تستعمل في خطاب التّعظيم ولا تكون إلا بلفظ التثنية المضافة إلى المخاطب، وذكرها سيبويه تحت: "باب ما يجيء من المصادر مُثَنًّى منتصِبًا على إضمارِ الفعل المتروكِ إظهارُه، وذلك قولك: حَنانَيْكَ، ولَبَّيْك وسَعْدَيْك، ودواليك، وهذاذيك، وحَذارَيْكَ، والمراد بحنانيك: تحنُّنًا بعد تحنّنٍ، كأنّه يَسترحمه ليَرحمه، وأراد بقوله لَبَّيْك وسَعْدَيْك: إجابةً بعد إجابةٍ، كأنّه قال: كلَّما أَجبتُك فى أمرٍ فأنا فى الأمر الآخَر مجيبٌ، وكأنّ هذه التثنية أشد توكيدًا، ولكنَّهم حذفوا الفعل لأنَّه صار بدلاً منه. (انظر: سيبويه، ص ١/ ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠)، ومثل هذه التراكيب تقال على تلك الهيئة المخصوصة مضافة إلى ضمير المخاطب "إِذا كَانَت الْحَالُ حَالَ تَعْظِيم... وللْمُبَالَغَة فِي التّعظيم إِلَى أَعلَى منزلَة. (ابن سيده، ١٩٩٦، ص ٤/ ١٥٥)

ويرى ابن سيده أن السبب وراء ترك التصرف والتثنية في تلك الأنماط من التراكيب يرجع إلى الْمَعْنى النّادر (المبالغة في التعظيم إلى أعلى منزلة)؛ ومن ثم "أُجري اللَّفْظ على مَا يَقْتَضِيهِ ذَلِك الْمَعْنى من ترك التّصرف والتّثنية لتضعيف فعل التّعظيم حَالا بعد حَال كَقَوْلِهِم لبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ فَفِيهِ مُبَالغَة تَعْظِيم مِمَّا عومل بِهِ مِمَّا يَقْتَضِي ذَلِك مَعَ أَن مَعْنَاهُ من طَرِيق حَقِيقَته يَقْتَضِي التّعظيم وَتَقْدِير نَصبه كتقدير مُتَابعَة لأمرِكَ وإسعادًا لكَ إلّا أَنه جعل لبَّيك وَسَعْديك مَوْضِع تَقْدِير المصدرين وعومل بِمَا يَقْتَضِي الْمُبَالغَة من التّثنية وَترك التّصرف على طَرِيق النّادر لينبئ عَن علوّ الْمنزلَة" (ابن سيده، ص ٤/ ١٥٥)، وقد أبان سيبويه إلى أن قصد المتكلمين بهذه الأفعال وتداولها في مثل هذه السياقات يعود إلى حرصهم على شدة التوكيد، فمراد المتكلم من "قوله لَبَّيْك وسَعْدَيْك: إجابةً بعد إجابةٍ، كأنّه قال: كلَّما أَجبتُك فى أمرٍ فأنا فى "الأمر" الآخَر مجيبٌ، وكأنّ هذه التثنية أشد توكيدًا. (سيبويه، ص ١/ ٣٥٠)، وهو يراعي في مثل هذه السياقات تعظيم مخاطبه وإظهار قدره واهتمامه بتلبية أمره وطواعيته له، ومثل ذلك حنانيك؛ أي تَحَنُّنًا بعْدَ تَحَنُّنٍ، ولا شك أنها ترد في سياقات

الاسترحام والاستعطاف، ولا يكون ذلك إلا من الأدنى إلى الأعلى غالبًا، وتستعمل حَذارَيْكَ في سياق حرص المتكلم على تنبيه مخاطبه، "كأَنَّه قال: لِيكنْ منك حَذَرٌ بعد حَذَرٍ"(سيبويه، ص ١/ ٣٤٩)، وتستعمل دَوالَيْكَ في معنى المُداومَة، وهو مَوْضِع مُبَالغَة وتعظيم (ابن سيده، ص ٤/ ١٥٦)، "ومعنى تثنية دَوالَيْكَ أَنَّه فِعْلٌ من اثنينِ، لأنّى إذا داولتُ فمن كلَّ واحدٍ منَّا فعل. وكذلك هذاذيك، كأنه يقول: هذًّا بعد هذٍّ من كلَّ وجهٍ. وإن شاء حَمَلَه على أنّ الفعلَ وَقَعَ هذًّا بعد هذا، " فَنَصَبَه " على الحال. (سيبويه، ص ١/ ٣٥١).

وثمة مصادر استعملتها الجماعة اللغوية على هيئة مخصوصة في سياق التندم والتعجب وهي المصادر المضافة إلى كاف المخاطب، وهي: " وَيْلَكَ، ووَيْحَكَ، ووَيْسَكَ، ووَيْبَكَ. ولا يجوز: سَقْيَكَ، إنما تجري ذا كما أَجرت العربُ" (سيبويه، ص ١/ ٣١٨). فهذا النوع من المصادر جرت الأعراف اللغوية على استعماله في معاني الدعاء والتعجب والتندم مضافًا إلى كاف الخطاب، ولا يجوز القياس عليه.

ومن أبين التراكيب النمطية التي يكثر تداولها بين أفراد الجماعة اللغوية؛ لاقترانها بمواقف متكررة في حياة كل أبناء الجماعة اللغوية التراكيب التي تقال في استقبال القادم وتوديعه والدعاء بالهناء: خَيْرَ مَقْدَمٍ، وخيرًا وما شر، وخيرًا لنا وشرًّا لعدوّنا، وذكرها سيبويه تحت باب: "ما يَنتصب على إضمار الفعل المستعمَل إظهارُه، أن ترى الرجلَ قد قَدِمَ من سفرٍ فتقولَ: خَيْرَ مَقْدَمٍ. أو يقولَ الرجلُ: رأيتُ فيما يرى النائمُ كذا وكذا، فتقول: خيرًا وما شر، وخيرًا لنا وشرًّا لعدوّنا. وإن شئت قلت: خيرُ مَقْدَمٍ، وخيرٌ لنا وشرٌّ لعدوّنا" (سيبويه، ص ١/ ٢٧٠)

وفسّر النصب على أنه مفعول مطلق حذف فعله "فكأَنَّه بناه على قوله قَدِمْتُ، فقال: قَدِمْتَ خيرَ مَقْدَمٍ، وإن لم يُسَمَعْ منه هذا اللفظُ، فإنَّ قدومَه ورؤيتَه إيّاه بمنزلة قوله: قدمتُ. وكذلك إن قيل: قَدِم فلانٌ، وكذلك إذا قال: رأيتُ فيما يرى النائم كذا وكذا، فتقول: خيرًا لنا وشرًّا لعدوّنا. فإذا نصبَ فعلى الفعل" (سيبويه، ص ١/ ٢٧٠)، فهذه التراكيب نبتت في كنف السياق الاجتماعي محذوفة الأفعال بسبب كثرة دورانها على ألسنتهم؛ واستعان سيبويه على بيان المحذوف بسياق الحال، والمتمثل في قدومه ورؤيته، وحَكْي صاحب الرؤيا، فأفصح سياق الحال ونَمّ عن المحذوف؛ أي: قَدِمْتَ خيرَ مَقْدَمٍ، لأنك حين "لَقِيتَه وعليه وَعْثاء السَّفَر، ومعه آلتُه، فعلمتَ أنّه آئبٌ من سفره، فقلت: "خيرَ مَقْدَم"، أي: قدِمتَ خير مقدم، فـ: "خيرَ" منصوبٌ على المصدر؛ لأنّه أَفْعَلُ، وإنَّما حُذفت ألفه تخفيفًا، و"أفعل" بعضُ ما يضاف إليه، فلمّا أضفته إلى مصدر صار مصدرًا" ابن يعيش، ص ١/ ٢٧٨) ودلّ حكي الرائي عن رؤيته على الفعل المحذوف؛ أي: رأيتَ خيرًا وما شر، ورأيتَ خيرًا لنا وشرًّا لعدوّنا.

ويجوز "الرفع على أنه مبتدأ أو مبنيٌّ على مبتدأ، ولم يرد أن يحمله على الفعل، ولكنَّهُ قال: هذا خيرُ مَقْدَمٍ، وهذا خيرٌ لنا وشرٌّ لعدوّنا، وهذا خيرٌ وما شرَّ. ومن ثَمّ قالُوا: مصاحَبٌ مُعانٌ، ومبرورٌ مأجورٌ، كأنه قال: أنت مصاحَبٌ، وأنت مبرور، فإذا رفعتَ هذه الأشياءَ فالذى فى نفسك ما أظهرتَ، وإذا نصبت فالذى فى نفسك غيرُ ما أظهرتَ، وهو الفعل والذى أظهرت الاسمُ" (سيبويه، ص ١/ ٢٧٠، ٢٧١).

ومن تلك التراكيب التي نشأت في ظلال السياق الاجتماعي قولهم: راشدًا مهديًّا، ومبرورًا مأجورًا، ومصاحَبًا مُعانًا، وصادقًا والله، على إضمار الفعل المستعمَل إظهارُه، في قول العرب: حَدَّث فلانٌ بكذا وكذا، فتقولُ: صادقًا والله. أو أَنشدك شِعرًا فتقول: صادقًا والله؛ أى: قالَه صادقًا؛ لأنَّه إذا أَنشدك فكأَنَّه قد قال كذا، وكأَنَّه قال: رجعتَ مبرورًا، واذهبْ مصاحَبًا، واذهب راشدًا مهديًّا، فأضمروا اذْهَبْ راشدا مهديّا، وإن شئتَ رفعتَ كما رفعت مصاحَبٌ مُعانٌ، ولكنه كَثُرَ النصبُ فى كلامهم؛ لأنَّ راشدًا مهديًّا بمنزلة ما صار بدلًا من اللفظ بالفعل، كأَنه لَفَظَ برشدت وهديت (انظر: سيبويه، ص ١/ ٢٧٢، ٢٧٣). ومنصوبات هذه التراكيب (راشدًا مهديًّا، ومبرورًا مأجورًا، ومصاحَبًا مُعانًا، وصادقًا) أحوال، وهي تراكيب كثر استعمالها في مناسبات خاصة كالدعاء للمسافر في حال قدوم أو ذهاب أو مجاملة القائل إذا رأيت صدق حديثه وروايته... إلخ، ويجيء عاملها مضمرًا في كلامهم كثيرًا، وحذفوه؛ اختصارًا، (انظر: ابن الأثير، ١٤٢٠، ص ١/ ٢٠٢)، وهي تقال في سياق حضوري مشاهد ومعاين، وهذا السياق الحضوري أو دلالة الحال هو الذي سوغ اختزال أفعالها جوازًا، قال ابن يعيش: "اعلم أنّ الحال قد يُحذف عاملُه إذا كان فعلًا وفي الكلام دلالةٌ عليه، إمّا قرينةُ حالٍ، أو مَقالٍ. فمن ذلك أن ترى رجلًا قد أزمعَ سَفَرًا، أو أراد حَجًّا، فتقول: "راشِدًا مَهْدِيًّا"، وتقديره: "اذْهَبْ راشدًا مهديًّا". ومثله أن تقول لِمن خرج إلى سَفَر: "مُصاحَبًا مُعانًا". وتقديره "اذهبْ، أو سافِرْ مصاحبًا معانًا". فدلّت قرينةُ الحال على الفعل، وأغنتْ عن اللفظ به" (ابن يعيش، ص ٢/ ٣٢)، ويحذف الفعل لدلالة سياق المقال عليه في قولهم: صادقًا والله، لأن ما تقدم من قوله للشعر أو حديثه أغنى عن الفعل

أما التركيب هَنِيئًا مريئًا فقد استشرى تداوله في الدعاء بالهناء والاستساغة، وذكره سيبويه في "باب ما أُجرى مُجرى المَصادر المَدْعُوَّ بها من الصفات، وذلك قولك: هَنِيئًا مريئًا" كأَنّك قلت: ثَبَتَ لك هَنيئًا مَريئًا، وهَنأَه ذلك هَنيئًا ". وإنَّما نصبتَه؛ لأنّه ذَكر لك خيرًا أَصابه رجلٌ فقلتَ: هنيئًا مريئًا، كأَنّك قلت: ثَبَتَ ذَلك له هنيئًا مريئًا أو هنأه ذلك هنيئًا، فاختُزِلَ الفعلُ، لأنه صار بدلًا من اللفظ بقولك: هَنَأَك" (سيبويه، ص ١/ ٣١٦، ٣١٧)، فهذا التركيب نبت من بين المجاملات التي تكثر في حياتهم اليومية بين أفراد الجماعة اللغوية، وهو لا يتداول بين المتكلمين إلا في سياق تخاطبي متبادل؛ كأن يذكر أحدهما خيرًا أَصابه، أو ترى شيئًا عنده ممّا يأكل أو يستمتِع به على سبيلِ الدُّعاء بلفظِ الخبر فتجيبه بجملة خبرية (انظر: ابن يعيش، ص ١/ ٣٠٣)، وهذه الجملة تعرب حالًا عند سيبويه، والمبرد وابن الشجري، وابن يعيش، وأبي حيان، والأزهري والسيوطي(انظر: المبرد، دون تاريخ، ٤/ ٣١٢، ابن الشجري، ١٩٩١ ص ١٤٢ ابن يعيش، ص ١/ ٣٠٣، أبي حيان، الارتشاف، ص ٣/ ١٣٧٩، ١٥٩٩، الأزهري، ١/ ٦١٥، السيوطي، ٢/ ٢٦١) والحال مبنية (مؤسسة) على تقدير: ثبت ذلك هنيئًا مريئًا، ومؤكدة على تقدير: هَنَأَهُ ذلك هنيئًا. (انظر: أبا حيان، الارتشاف، ص/ ٣/ ١٣٧٩)

وأجاز أبو البقاء العكبري أن يكونا مصدرين جاءا على وزن فعيل كالصهيل والنكير (أبو حيان، الارتشاف، ص/ ٣/ ١٣٧٩)، وذهب ابن الحاجب إلى أنها "صفات بالأصالة، وإنما جاءت نعتاً للمصدر المحذوف. فتقديره: أكلاً هنيئاً وأكلاً مريئاً. فهي صفات حذف موصوفها وأقيمت الصفة مقامه" (ابن الحاجب، الأمالي، ١٩٨٩، ص ١/ ٤٣٦)

وبغض النظر عن كون (هنيئًا) حالًا أو مصدرًا فإن هذا التركيب قد كثر دورانه على ألسنتهم في مناسباتهم اليومية إلى أن تحدثوا به صباح مساء مختزلين فعله؛ لأنه صار بدلًا من اللفظ بقولك: هَنَأَك، هكذا عَلَّلَهُ سيبويه من جهة النحو وإن كان السبب الرئيس - في نظري – الذي بلور التركيب ونحته في أقل الكلمات يرجع إلى كثرة استعماله، وانقاد الحذف لهم لدلالة الكلام عليه، والمتمثل في ذِكْر أحدهم لك الخير الذي أصابه، أو لدلالة الحال، كرؤيتك شيئًا عنده مما يأكله، أو يستمتع به.

المبحث الثاني: أثر الأعراف الاجتماعية والخلفيات المعرفية في الإبانة عن مقاصد المتكلمين:

تجاوز أثر السياق الاجتماعي والأعراف الشائعة بين أبناء الجماعة اللغوية عند سيبويه حدَّ الصحة إلى الحسن والذوق، ويتضح ذلك في عدد من الأمثال وأشباهها، نحو: شرٌّ أهَرَّ ذا ناب، وشَيْءٌ مَا جَاءَ بِكَ، وأَمْتٌ فِي الْحَجَرِ لا فِيكَ، وإليكم بيانَ ذلك وتفصيله.

فمن ذلك قول سيبويه: "وأما قوله: شيء ما جاءَ بك، فإنه يَحسُن وإن لم يكن على فعل مضمَرٍ؛ لأنّ فِيهِ معنى ما جاء بك إلا شيء، ومثلُه مَثَلٌ للعرب: " شرٌّ أهَرَّ ذا ناب" (سيبويه، ص ١/ ٣٢٩). فهذا المثل لا يفسر إلا في ضوء الأعراف الاجتماعية السائدة في المجتمع واستحضار الخلفيات المعرفية والثقافية، فهو لا يقال إلا في وقت لا يهر الكلب فيه إلا لشيء جرت العادة بذلك، وإلا فالكلب يهر لغير الشر كثيرًا" (ناظر الجيش، ١٤٢٨، ص ٢/ ٩٢٩، أبو حيان، ٢٠٠٠، ص ٣/ ٣٣١)، وأصله أنَّ قائله سمع هرير الكلب في الليل، فأشفق من طارق بِشَرّ، فقال ذلك تعظيمًا للحال وتهويلًا للأمر عند نفسه ومستمعه؛ أي: ما أهر ذا ناب إلاّ شَرٌّ عَظِيمٌ (اليوسي، ١٩٨١، ص ٣/ ٢٢٩)؛ أي أَن الْكَلْب إِنَّمَا حمله على الهرير شَرّ يضْرب فِيمَا يسْتَدلّ بِهِ على الشَّرّ (الزمخشري، ١٩٨٧، ص ٢/ ١٣٠) و "لَمَّا عناه وأهمه أكد الْإِخْبَار عَنهُ، وَأخرجه مخرج الإغلاظ بِهِ" (ابن سيده، ٢٠٠٠، ٤/ ٩٨) فهذا المثل قاله أول قائل حين استشعر خطر ما، وتفاعلت معه الجماعة اللغوية وتواطأت عليه، فتمثلوه وصار يضرب بين أبناء الجماعة اللغوية في كل موقف مشابه تظهر فيه أمارات الشر وتبين مخائله.

وجاء المبتدأ نكرة في المثل، وهو مما لا يستحسنه النظام اللغوي لعدم الفائدة، ولكن الجماعة اللغوية استساغته وقبلته؛ فهو دال عندهم ومقنع بسبب ما اكتنفه من أحوال، فوعوا أن قائله أخرجه على هذه الصورة؛ لحاجته في هذا الموضع إلى التوكيد "من حَيْثُ كَانَ أمرًا مهمًّا، وَذَلِكَ أَن قَائِل هَذَا القَوْل سمع هرير كلب، فأضاف مِنْهُ، وأشفق لاستماعه أَن يكون لطارق شَرّ، فَقَالَ: " شَرّ أهَرَّ ذَا نَاب " أَي مَا أهَرَّ ذَا نَاب إِلَّا شَرّ، تَعْظِيمًا للْحَال عِنْد نَفسه وَعند مستمعه، وَلَيْسَ هَذَا فِي نَفسه كَأَن يطرقه ضيف أَو مسترشد، فَلَمَّا عناه وأهمه أكد الْإِخْبَار عَنهُ، وَأخرجه مخرج الإغلاظ بِهِ" (ابن سيده، ٢٠٠٠، ٤/ ٩٨)، ولهذا حسّن سيبويه

الابتداء بالنكرة في مثل هذه الأساليب؛ لأنها أحد ألوان العرب وطرائقها في التعبير عما يريدون، ووعيه بمقاصد هذه التراكيب؛ لأن فيها معنى النفي؛ أي: "ما أهر ذا ناب إلا شر، وإنما كان المعنى هذا؛ لأن الخبرية عليه أقوى، ألا ترى أنك لو قلت: أهر ذا ناب شر لكنت على طرف من الإخبار غير مؤكد فإذا قلت: ما أهر ذا ناب إلا شر كان ذلك أوكد...، وإنما احتيج إلى التوكيد في هذا الموضع من حيث كان أمرًا عانيًا مهمًّا، وذلك أن قائل هذا القول سمع هرير كلب فأضاف منه وأشفق لاستماعه أن يكون لطارق شر، فقال: شر أهر ذا ناب؛ أي ما أهر ذا ناب إلا شر تعظيمًا عند نفسه أو عند مستمعه، وليس هذا في نفسه كأن يطرق بابه ضيف أو يلم به مسترشد، فلما عناه وأهمه, وكد الإخبار عنه، وأخرج القول مخرج الإغلاظ به والتأهيب لما دعا إليه" (ابن جني، ١٩٩٩، ص ١/ ٣٢٠) ويتقاصف على هذا المثل عددٌ من السياقات، أولها: العرف القائم بين أبناء الجماعة اللغوية في أن الهرير في الأهزعة المتأخرة من الليل يصاحبها شر ألجأ الطارق، ومثله قولهم: "شيء ما جاءَ بك، فإنه يَحسُن وإن لم يكن على فعل مضمَرٍ؛ لأنّ فِيهِ معنى ما جاء بك إلا شيء" (سيبويه، ص ١/ ٣٢٩). فلا يجوز تفسيره إلا في ضوء الأعراف القائمة بين كل من المتكلم والمتلقي؛ لأنه "لا يقال: شيء ما جاء بك إلا لمن جاء في وقت ما جرت العادة بأنه لا يجيء في مثله إلا لأمر مهم، ففي النص السالف وعْي بأثر الأعراف الاجتماعية والعادات الشائعة في تسويغ الابتداء بالنكرة (شيء) الموصوفة بـ (ما) واكتفى سيبويه في تسويغ الابتداء بالنكرة بالدلالة والقصد الذي رامه المتكلم من أن المراد: ما أهرّ ذا ناب إلا شرٌّ، وما جاءَ بكَ إلا شَيْءٌ حادث عظيم لا يعهد مثله، وأنه أراد التوكيد، ولم يرد مجرد الإخبار، فحمل سيبويه الكلام على أسلوب الحصر؛ وهو بذلك يرى أثر الموقف في هذا المعنى (العلاقة الاجتماعية بين المتكلم وضيفه)، فالمتكلم يعرف تمامًا بحكم العلاقة أن ضيفه لا يأتيه إلا في أمر عظيم.

واجتهد النحاة واللغويون وهم يبحثون عن مسوغ للابتداء بالنكرة في مثل هذه التراكيب وما ورد على شاكلتها في الإبانة عن مقاصد المتكلمين، فذهب ابن جني وابن سيده والسيرافي وابن يعيش إلى أن الكلام عائد إلى معنى النفي؛ يقصدون أن القائل قصد معنى الحصر الذي تفصد عنه السياق؛ أي "ما أهرّ ذا نابٍ إلَّا شرٌّ"؛ "لأنّه أوْكَدُ؛ ألا ترى أنّ قولك: "ما قام إلَّا زيدٌ" أوكدُ من قولك: "قام زيدٌ". إنّما احتيج إلى التوكيد في هذه المواضع، من حيث كان أمرًا مُهِمًّا، لِما ذكرناه"(ابن جني، ص ١/ ٣٢٠، السيرافي، ص ٢/ ٢٢٠، ابن سيده، ص ٤/ ٩٧، ابن يعيش، ص ١/ ٢٢٥)، وهو المعنى نفسه الذي وعاه من أوّل (شرًّا) بأنه في معنى الفاعل باعتبار نفي إثبات، وشرطه أن يكون الخبر جملة فعلية في معنى نفي عموم من نسب إليه الفعل، وإثباته لذلك المبتدأ، كقولك: شرٌّ أهرَّ ذا ناب بمعنى: ما أهرَّ ذا ناب إلا شرٌّ...، وإنما جاز أن يكون مبتدأ، وهو نكرة؛ لأنه في معنى الفاعل، والفاعل يجوز أن يكون نكرة، وإن كان في المعنى محكومًا عليه لما فيه من معنى التخصيص فكذلك هذا" (ابن الحاجب، ١٨٨٩، ص ٢/ ٥٧٥)، وذهب الأشموني والسيوطي إلى أن المسوغ هو صفة مقدرة، فالمعنى في: شَرّ

أهر ذَا نَاب أَي شَرّ عَظِيم (الأشموني، ١٩٩٨، ص ١/ ١٩٣، السيوطي، ص ١/ ٣٨١). والوصف منوي عند اليوسي، " ولأجل هذا الوصف المنوي حسُن الابتداء بلفظة "شرّ" حتى حصل من ذلك الحصر" (اليوسي، ص ٣/ ٢٢٩). ومنهم من رخّص في الأمثال فجعل كونه مثلًا مسوغًا مقبولًا، كقول السيرافي: "وجرى مثلًا فاحتمل" (السيرافي، ص ٢/ ٢٢٠)، وقول ابن الأثير: "ومنهم من جعله كالمثل، نحو قولهم: مكره أخاك" (ابن الأثير، ١٤٢٠، ص ١/ ٥٧)، فمن اكتفى بجعله مثلًا رأى فيه من الوضوح بين الجماعة اللغوية ما أغناه عن البحث عن مسوغ.

ولعل ذلك يقترب من رؤية سيبويه والرعيل الأول في إدراكه لكون هذا التركيب عرفًا لغويًّا شائعًا بين أبناء الجماعة اللغوية، فلم ينقب عن مسوغ للابتداء بالنكرة، وعلّق مكتفيًا بحسنها، واهتم هو ومن وافقه الرأي ببيان مقاصد المتكلمين وأغراضهم مُعَوّلين في انتزاعها على الشهرة الاجتماعية أو ما يمكن أن نطلق عليه الأفكار السياقية المتبادلة بين المتكلم والمخاطب المنتمين إلى بيئة اجتماعية واحدة.

وفي السياق نفسه يستشهد سيبويه بالمثل: "أَمْتٌ فِي الْحَجَرِ لا فِيكَ" بعد أن ذكر ضوابط الابتداء في التعريف أو الدلالة على الدعاء لما افتقد إلى التعريف، وذلك قوله: "أصلُ الابتداء للمعرفةِ. فلما أدخلتَ فيه الألف واللام وكان خبراً حَسُنَ الابتداءُ، وضَعُفَ الابتداءُ بالنكرة إلاَّ أن يكون فيه معنى المنصوب.... ثم استشهد بالمثل على مجيء النكرة مبتدأ وخروجها "على غير ذا المعنى وعلى غير ما فيه معنى المنصوبِ وليس بالأصل، قالوا فى مَثَلٍ: أَمْتٌ فى الحجر لا فيكَ" (سيبويه، ص ١/ ٣٢٩)، ويمكننا أن نفهم من مجرد ذكره للمثل - خاليًا من أي تعليق عليه أو تأويل له - قبوله دون الحاجة إلى مسوغ اكتفاء منه بحصول الفائدة، وهو ما استشفه المكودي؛ حيث رأى أن سيبويه: "لم يشترط فى الابتداء بالنكرة إلا حصول الفائدة، وحكى من كلام العرب: أَمْتٌ فى الحجر لا فيكَ، وليس فيه شئ من المسوغات التى ذكرها النحويون" (المكودي، ٢٠٠٥، ص ٥٠).

وقد أبان النحاة - وهم يحاولون إيجاد مسوغ - عن مقاصد المتكلمين، فنفى عنه سيبويه دلالة الدعاء، والحصر، وأثبت له الإخبار، وهو ما يفهم من قوله: وقد ابتُدئَ فى الكلام على غير ذا المعنى؛ يقصد دلالة الحصر، وعلى غير ما فيه معنى المنصوبِ، يعني دلالته على الدعاء، وليس بالأصل، قالوا فى مَثَلٍ: " أَمْتٌ فى الحجر لا فيكَ (انظر: سيبويه ص ١/ ٣٢٩). وذا ما فهمه السيرافي من كلام سيبويه، ففسر مراد المتكلم بأن معناه: "اعوجاج في حجر لا فيك، على أساس أنّه إخبار محض". (انظر: السيرافي، ص ٢/ ٢٢٠)، وحمَلَه المبّرد على الدعاء؛ أي أنهم: "أرادوا به معنى الدعاء، فهو في مذهب المنصوب، كأنهم قالوا: جعل الله في حجر أَمْتًا لا فيك" (السيرافي، ص ٢/ ٢٢٠)، وأوّلوا قصد المتكلم بـ: "لِيَكُنِ الأَمْتُ في الحِجارَةِ لا فِيكَ، ومَعْناه: أَبقاكَ اللهُ بعدَ فَناءِ الحِجارَةِ، وهي مما يُوصَفُ بالخُلُودِ والبَقاءِ (ابن سيده، ص ٩/ ٥١٧، ابن منظور، ص ٢/ ٥، الزبيدي، ص ٤/ ٤٢٥).

وانتصر ابن ولاد لسيبويه؛ حيث جعل المعنى إخبارًا مغلَّفًا بغلائل المدح، ورفض أن يكون القصد دعاءً؛ "لأن الدعاء لا وجه له في هذا الكلام...؛ لأنه لو كان يدعو له بأن لا يجعل الله فيه العوج، وأن يجعله للحجر لما كان مادحًا له، فالعوج ثابت للحجر على كل حال ومُنْتَفٍ عن الرجل على وجه المدح، لا على معنى الدعاء على

الحجر بأن يعوج، وهو كذلك لا محالة، ولو كان على الدعاء؛ لكان كلامًا غير بليغ، ولا وجه له على ما ذكرنا، وإنما هو على المدح والتنزيه للرجل من العيب، فنفاه عنه تنزيها له، وجعله للحجر الذي هو موضعه (انظر: ابن ولاد، ١٩٩٦، ص ص ١٠٢، ١٠٣).

وعوّل السهيلي على السياق الداخلي في استجلاء القصد من المثل؛ حيث ذهب إلى أنهم أرادوا به التزكية؛ " لأنهم لم يقولوا: أَمْتٌ في الحَجَرِ، ويسكتوا ههنا؛ حيث قرنوه بقول: لا فيك؛ فصار معنى الكلام: إضافة الأمت إلى الحجر أقرب من إضافته إليك، والأمت والحجر أليق به منك...؛ لأنهم أرادوا تزكية المخاطب، ونفي العيب عنه، ولم يريدوا الأخبار عن أَمْتٍ أنه في الحجر؛ بل هو في حكم النفي عن الحجر وعن المخاطب معًا، إلا أن نفيه عن المخاطب أوكد" (السهيلي، ١٩٩٢، ص ٣١٦)، فالذي رشح كون المعنى تزكية عنده هو إردافهم جملة: أَمْتٌ في الحَجَرِ بجملة: لا فيك، التي تنفي العوج عن المخاطب.

ولعل من أبين ما ينضوي تحت عادات الناس وأعرافهم الاجتماعية بعض التراكيب القصيرة التي خلّفتها حياتهم اليومية في مسائل البيع والشراء، مثل: "قول الناس: كان البُرُّ قَفيزَيْنِ، وكان السَّمْنُ مَنَوَينِ، فإنما استغنوا هاهنا عن ذكر الدَّرهم لِما فى صدورهم من عِلمه؛ ولأنَّ الدرهم هو الذى يسعَّر عليه، فكأنّهم إنّما يَسألون عن ثمن الدرهم فى هذا الموضع، كما يقولون: البر بستين، وتركوا ذكر الكُرَّ؛ استغناءً بما فى صدورهم من عِلمه، وبعلم المخاطَب، لأنَّ المخاطب قد علم ما يَعنى، فكأَنّه إنّما يَسأل هنا عن ثمن الكُرّ كما سأَلَ الأوّلُ عن ثمن الدرهم. وكذلك هذا وما أشبهه فأَجْرِه كما أجرتْه العربُ"(السابق، ص ١/ ٣٩٣)، فهو يستدل على قصد المتكلم وتعيين المحذوف بكل ما يحيط بعملية التواصل من مرجعيات ثقافية وفكرية، وخلفيات معرفية مشتركة بين كل أفراد الجماعة اللغوية، "فحذفوا الثمن في هذا لما عرف بعادة الناس في ذلك؛ لأنهم قد اعتادوا الابتياع بثمن بعينه، دراهم أو دنانير فتركوا ذكره اكتفاء بمعرفته" (السيرافي، ص ٢/ ٢٨٣)، فاستغنوا عن ذكر الدراهم، وأسقطوها من كلامهم لما في صدورهم من علمه.

المبحث الثالث: تضافر السياقات في الإبانة عن مقاصد المتكلمين:

ذكر سيبويه تحت عنوان: "هذا بابٌ يُحْذَفُ منه الفعل لكثرته فى كلامهم حتى صار بمنزلة المَثَل" (سيبويه، ص ١/ ٢٨٠)، عددًا من الأمثال، كقولهم : "هذا ولا زَعَماتِك، وقول العرب: كِلَيْهما وتمرًا، وقولهم: كلَّ شيء ولا هذا، وكل شيء ولا شتيمة حر" (السابق، ص ١/ ٢٨٠)، التي تعاضدت السياقات على إبانة مقاصد متكلميها.

بادئ ذي بدء يقوم سيبويه بإقامة الضلع المحذوف من التركيب، بقوله: ولا أَتَوَهَّمُ زَعَماتِك...، وائت كل شيء...، ولا تَرتكِبْ شتيمةَ حُرٍّ...، كأَنّه قال: أَعْطِنى كِلَيْهما وتَمْرًا." (السابق، ص ١/ ٢٨١). ويميط اللثام عن المسوغ الذي عول عليه العربي في استغنائه عن بعض عناصر التركيب بقوله: "ولم يَذكر: ولا أتوهَّمُ زعماتِك؛

لكثرة استعمالهم إيَّاه، ولاستدلاله مما يَرَى من حاله أنَّه يَنْهاه عن زَعْمه، وقوله: فذا مَثَلٌ قد كَثُرَ فى كلامهم واستعمل، وتُرك ذكرُ الفعل لِما كان قبل ذلك من الكلام". (السابق، ص ١/ ٢٨١).

وسواء أكان العنصر المحذوف فعلًا أم خبرًا، مثل قول بعض العرب: "كِلاهما وتمرًا، كأنه قال: كلاهما لي ثابتان وزدني تمرًا. وكل شيء ولا شتيمة حر. كأنه قال: كل شيء أَمَمٌ ولا شتيمةَ حُرٍّ، وتَرك ذكرَ الفعل بعد لا، لما ذكرتُ لك؛ ولأنه يَستدلُ بقوله: كل شيء، أنَّه يَنهاه"(السابق، ص ١/ ٢٨١).

فسيبويه يعول في نصه السالف على كثير من السياقات التي تضافرت جميعًا على الإبانة عن مراد المتكلمين ومقاصدهم، وأسفرت عن الدلالات المرومة، وتكفلت بالإفصاح عن المحذوف وتحديده، وتمثل ذلك في السياق الاجتماعي المتضح في الشهرة الاجتماعية الواسعة للأمثال بين كل أفراد الجماعة اللغوية، وبان ذلك من قوله: "هذا بابٌ يُحْذَفُ منه الفعل لكثرته فى كلامهم حتى صار بمنزلة المَثَل" (السابق، ص ١/ ٢٨٠)، وقوله: "فذا مَثَلٌ قد كَثُرَ فى كلامهم واستعمل"(السابق، ص ١/ ٢٨٠).

واعتمد على سياق الحال في قوله: "لاستدلاله مما يَرَى من حاله أنَّه يَنْهاه عن زَعْمه"(السابق، ص ١/ ٢٨١)، وقد يفهم منها أنه يتحدث عن التنغيم والنبر والأداء، واستعان بالسياق المقالي في قوله: "وتُرك ذكرُ الفعل لِما كان قبل ذلك من الكلام"(السابق، ص ١/ ٢٨١)، وقوله: " وتَرك ذكرَ الفعل بعد لا، لما ذكرتُ لك؛ ولأنه يَستدلُ بقوله: كل شيء، أنَّه يَنهاه"(السابق، ص ١/ ٢٨١).

ومن النماذج التي تتقاصف عليها السياقات فتَشِفّ عن مقاصد المتكلمين: "انتهوا خيرًا لكم، ووَراءَك أَوْسَعَ لك، وحَسْبُك خيرًا لك، إذا كنتَ تأمر... وإنَّما نصبتَ خيرًا لك وأَوسَعَ لك؛ لأنَّك حين قلت: انْتَه، فأنت تريد أن تخْرِجَه من أَمْرٍ وتُدخِلَه فى آخرَ...، وقال الخليل: كأنَّك تحملُه على ذلك المعنى، كأنّك قلت: انْتَهِ وادْخُلْ فيما هو خيرٌ لك، فنصبتَه، لأنَّك قد عرفتَ أنّك إذا قلت له: انْتَهِ، أنَّك تحمله على أمرٍ آخَرَ، فلذلك انتَصب، وحذَفوا الفعل؛ لكثرة استعمالِهم إيَّاه فى الكلام، ولعلم المخاطَب أَنّه محمولٌ على أمرٍ حين قال له: انتَهِ، فصار بدلاً من قوله: ائت خيرًا لك، وادْخُلْ فيما هو خير لك." (سيبويه، ص ص ١/ ٢٨٢-٢٨٤). فعوّل سيبويه على السياق اللغوي وقدر المحذوف بناء على ما اسْتَشَفَّهُ من دلالة الفعل المتقدم؛ أي انتهوا وائتوا خيرًا؛ لأنك "إذا أمرته بالانتهاء، فإنما تأمره بترك شيء، وتارك الشيء آت ضده، فكأنه أمره أن يكفّ عن الشر والباطل، ويأتي الخير" (السيرافي، ص ٢/ ١٨٠). فأنتَ تريد أن تُخْرِجه من أمر، وتُدْخِله في أمر آخر، فكأنّه أمر أن يكُفّ عن الشرّ والباطلِ ويأتي الخيرَ (ابن يعيش، ص ١/ ٣٩٥).

وعلل سيبويه حذف الفعل هنا بكثرة استعمالهم إياه، وعلم المخاطب، والتعليل بكثرة الاستعمال يندرج تحت السياق الاجتماعي والثقافي السائد بين أبناء اللغة؛ لأنهم تواضعوا واتفقوا ضمنًا على طَيّ بعض عناصر التركيب حين يكثر دورانها على ألسنتهم؛ فيصبحون في غنًى عن ذكرها، وهو يعقد الآصرة بين المتكلم والمخاطَب

والنظام المشترك بين أصحاب اللغة، أي أنه يرتكز على ما هم عليه قبل إجراء الخطاب، وهو ما يطلق عليه في اللسانيات التداولية بالافتراض المسبق، "وهو مفهوم برغماتي تتضمنه العبارة في المقام الذي ترد فيه من حيث المعلومات المشتركة لدى المتكلم والمخاطب" (بوجادي، ٢٠٠٩، ص ١٤٩)، كما عناهم مُسْتَقْبِلُ الرسالة اللغوية، فقدروه أيَّما تقدير، وحفظوا له مكانته ومكانه من الحديث، وجعلوا إسقاط بعض عناصر الكلام واجتزائه مرهونًا بعلمه ودرايته؛ لأنه العنصر الذي سيق الكلام لأجله، وقد عبروا وأفصحوا عن دور المخاطب بنصوص صريحة تشي وتشير إلى وعيهم لقدره في عملية التخاطب وتضعه في مكانته التي تليق به ويستحقها، فمن ذلك ما ذكره السهيلي من أنه: "لولا المخاطب ما احتيج إلى التعبير عما في نفس المتكلم" (السهيلي، ص ١٧٠)، فأضحى الضلع الموازي للمتكلم في عملية إنتاج الخطاب، ولولاه لما احتاج المتكلم للإفصاح عما بداخله، ولظلت أغراضه حبيسة صدره، ثم نراه يلح على دوره في موضع آخر بقوله: "ولما كان المخاطب مشاركًا للمتكلم في معنى الكلام، إذ الكلام مبدؤه من المتكلم ومنتهاه عند المخاطب، ولولا المخاطب ما كان كلام المتكلم لفظًا مسموعًا، ولا احتاج إلى التعبير عنه" (السابق، ص ١٧٢). فلم يعد المخاطب مجرد مستهلك، ولكنه أضحى شريكًا رئيسًا في إنتاج النصوص وتحليلها وتأويلها وتفكيك رموزها وتسنين شفراتها.

خاتمة بأهم النتائج:

١. طريقة معالجة سيبويه وتناوله للأمثال وأشباهها وتراكيب المواقف تؤصّل للأعراف الاجتماعية والعادات.

٢. اصطلح سيبويه على الأعراف الاجتماعية والعادات بكثرة الاستعمال، وعبر عنها الجرجاني بأنها طريقة مستمرة لهم.

٣. يعد السيرافي أول من اصطلح على السياق الاجتماعي باسم (عادة الناس)؛ حيث قال: "فحذفوا الثمن في هذا لما عرف بعادة الناس في ذلك".

٤. جمع البحث كل الأنماط التعبيرية، وأصّل لها، وارتأى أنها مخاض الأعراف الاجتماعية والموروثات الثقافية التي تواضعت عليه الجماعة اللغوية.

٥. أصل البحث لما أسماه بتراكيب الحياة اليومية التي اختزل أحد أركانها؛ لكثرة دورانها على ألسنتهم، وتجذرها ضمن عاداتهم.

٦. أبان البحث أن مقولة النحاة (الأمثال لا تغير) تدل على وعيهم بهيمنة التقاليد والأعراف، واحترامهم للموروث.

٧. أفصحت المرجعيات الثقافية والفكرية، والخلفيات المعرفية المشتركة بين كل أفراد الجماعة اللغوية عن مقاصد المتكلمين.

٨. توصل البحث إلى أن للسيرورة الاجتماعية قوة خفية تدب بين كل أفراد الجماعة اللغوية؛ فتخلّف بعض التراكيب (الأمثال، وأشباهها، وتراكيب الموقف) على صور نمطية موجزة ألفاظُها، ومكثفة دلالاتُها.

٩. وعى سيبويه أن للسياق هَيْمَنةً وتأثيرًا في صناعة الكلام، وتوجيه المتكلمين إلى انتقاء المواقع في الكيفية التي يسبكون وينضدون عليها تراكيبهم تقديمًا أو تأخيرًا؛ ليكون التلاعب بالكلمات مقصودًا، لا اعتباط فيه.

١٠. يعد سيبويه صاحب الريادة في استثمار الضابط المقامي، وظلاله، وخلفياته، وأبعاده استثمارًا بَيّنًا في الإفصاح عن مقاصد المتكلمين.

١١. جعل سيبويه للمرسل دورًا طلائعيًّا في تحديد طريقة الخطاب واستراتيجياته، وبناء لبناته، ونسج خيوطه، كما جعل المخاطَب شريكًا رئيسًا وعاملًا فاعلًا في إنتاج الكلام.

١٢. أصّل سيبويه لكثير من أسس التداولية ومبادئها متمثلة في المتكلم، والمخاطب، والكلام، والقصد والسياقات، وتأثيرها في مواقع الكلمات، والافتراض المسبق، وكلها أفكار سيبويهية لا تقل قيمة عن التداولية الحديثة.

١٣. مدّت أفكار سيبويه جسورًا حقيقية متماثلة بين الرؤية العربية والتنظيرات التداولية الحديثة في كل ما يتعلق بالخطاب، وما يحيط به من أحوال، ومتكلمين، ومخاطبين، وهو ما يدخل في إطار المثاقفة.

١٤. أبان سيبويه وظيفة اللغة ودورها في البعد التواصلي من خلال وقوفه على دور المتكلم والمخاطب وأثر السياق في الإبانة عن أغراض المتكلمين وإفهام المخاطبين.

١٥. ألمح سيبويه إلى أن الحذف والتقديم والتأخير مرهون بحدوث خرق متعمد من المتكلم يتفصد عنه إفرازات دلالية ومقاصد يتغياها المتكلم، ويعيها المخاطب، ويفصح عنها السياق.

١٦. استعان سيبويه في اقتناصه مقاصد المتكلمين بكل السياقات اللغوية وغير اللغوية التي تتقاصف على المسألة الواحدة.

١٧. اهتدى سيبويه إلى مختلف الوسائط التعبيرية في كل ما يحيط بالخطاب من إشارات، وردود أفعال، وتقطيب وجوه، ومط شفاه، وهز رؤوس في التعبير عن المراد، والكشف عن المعاني، وإماطة اللُّثُمِ عن المقاصد.

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

أبو بكر الأنباري، محمد (١٩٩٢). *الزاهر في معاني كلمات الناس*. (الطبعة الأولى). تحقيق: د. حاتم صالح الضامن. بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو حيان (٢٠٠٠). *التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل*. تحقيق: د. حسن هنداوي. دمشق: دار الشرق.

أبو حيان، محمد (١٩٩٨). *ارتشاف الضرب من لسان العرب*. (الطبعة الأولى). تحقيق: رجب عثمان محمد. مراجعة: رمضان عبد التواب. القاهرة: مكتبة الخانجي.

أبو موسى، محمد (دون تاريخ نشر). *خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني*. (الطبعة السابعة). القاهرة: مكتبة وهبة.

الأزهري، خالد (٢٠٠٠). *شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو*. (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

إسماعيل، صلاح (٢٠٠٧). *فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل*. القاهرة: دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع.

الأشموني، علي (١٩٩٨). *شرح الأشموني على ألفية ابن مالك*. (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

الأنباري، أبو بكر (١٩٨٧). *الأضداد*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية

أوشان، علي (بدون تاريخ نشر). *السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة*. (الطبعة الأولى). المغرب: الدار البيضاء.

البستاني، بطرس (١٩٨٧). *محيط المحيط*. بيروت: مكتبة لبنان.

ابن الأثير، مجد الدين (١٤٣٠). *البديع في علم العربية*. (الطبعة الأولى). تحقيق: د. فتحي أحمد علي الدين. السعودية: جامعة أم القرى.

ابن جني، أبو الفتح (١٩٩٩) *الخصائص*. (الطبعة الرابعة). تحقيق: محمد علي النجار، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن الحاجب، عثمان (١٩٨٩). *أمالي ابن الحاجب*. تحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة. بيروت: دار الجيل.

ابن سيده، أبو الحسن (٢٠٠٠). *المحكم والمحيط الأعظم*. (الطبعة الأولى). تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن سيده، أبو الحسن (١٩٩٦). *المخصص*. (الطبعة الأولى). تحقيق: خليل إبراهم جفال. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن الشجري، ضياء الدين (١٩٩١). *أمالي ابن الشجري*. (الطبعة الأولى). تحقيق: د. محمود محمد الطناحي. القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابن منظور، محمد (١٩٩٣). *لسان العرب*. (الطبعة الثالثة). بيروت،: دار صادر.

ابن الناظم، بدر الدين (٢٠٠٠). *شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك*. (الطبعة الأولى). تحقيق: محمد باسل عيون السود. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن هشام، عبد الله (١٣٨٣). *شرح قطر الندى وبل الصدى*. (الطبعة الحادية عشرة). تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة.

ابن ولاد، أبو العباس (١٩٩٦). *الانتصار لسيبويه على المبرد*. (الطبعة الأولى). تحقيق. د. زهير عبد المحسن سلطان. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن يعيش، أبو البقاء (٢٠٠١). *شرح المفصل*. قدم له الدكتور: إميل يعقوب. بيروت: دار الكتب العلمية.

بشر، كمال (١٩٩٧). *علم اللغة الاجتماعي*. (الطبعة الثالثة). القاهرة: دار غريب.

بوجادي، خليفة (٢٠٠٩). *في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم*. الجزائر: الحكمة للنشر والتوزيع.

التلمساني، شهاب الدين (١٩٩٧). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. (الطبعة الأولى). تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر.

الجرجاني، عبد القاهر (١٩٩٢). *دلائل الإعجاز*. (الطبعة الثالثة). تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر. القاهرة: مطبعة المدني

الجوجري، شمس الدين (٢٠٠٤) *شرح شذور الذهب*. (الطبعة الأولى). المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية

الجوهري، أبو نصر (١٩٨٧). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. (الطبعة الرابعة). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين.

حبلص، محمد (١٩٩١). *البحث الدلالي عند الأصوليين*. (الطبعة الأولى). القاهرة: عالم الكتب.

حسان، تمام (١٩٩٠). *مناهج البحث في اللغة*. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

حسن، عباس (بدون تاريخ نشر). *النحو الوافي*. (الطبعة الخامسة عشرة). دار المعارف.

خرما، نايف (١٩٧٨). *أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الخليل، أبو عبد الرحمن (بدون تاريخ نشر). *العين*. تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

خليل، حلمي (١٩٨٠). *الكلمة. دراسة لغوية ومعجمية*. الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

خليل، عبد المنعم (٢٠٠٧). *نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية*. (الطبعة الأولى). مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

ذو الرمة (١٣٩٢). *ديوان ذي الرمة بشرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي رواية ثعلب*. تحقيق: عبد القدوس أبو صالح. دمشق: مطبعة طربين.

الرضي، محمد (١٩٧٥). *شرح شافية ابن الحاجب*. تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الكتب العلمية.

الزبيدي، محمد (بدون تاريخ نشر). *تاج العروس من جواهر القاموس*. دار الهداية

الزمخشري، أبو القاسم (١٩٩٨). *أساس البلاغة*. (الطبعة الأولى). تحقيق: محمد باسل عيون السود. بيروت: دار الكتب العلمية.

الزمخشري، أبو القاسم (١٩٨٧). *المستقصى في أمثال العرب*. (الطبعة الثانية). بيروت: دار الكتب العلمية.

السعران، محمود (١٩٩٧). *علم اللغة مقدمة للقارئ العربي*. (الطبعة الثانية). القاهرة: دار الفكر العربي.

السهيلي، أبو القاسم (١٩٩٣) *نتائج الفكر في النحو*. (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

سيبويه، عمرو (١٩٨٠). *الكتاب*. (الطبعة الثالثة). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي.

السيرافي، أبو سعيد. (٢٠٠٨). *شرح كتاب سيبويه للسيرافي*. بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، عبد الرحمن (بدون تاريخ نشر). *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. مصر: المكتبة التوفيقية.

الشهري، عبد الهادي (٢٠٠٤). *استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية*. (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب الجديدة المتحدة.

الصبان، أبو العرفان (١٩٩٧). *حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك*. (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

الطوانسي، شكري (٢٠١٣). *المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية*. مجلة عالم الفكر. (ع١، م ٤٢، يوليو/ سبتمبر). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

عبد الجليل، عبد القادر (٢٠٠٢). *علم اللسانيات الحديثة*. (الطبعة الأولى). عمان: دار الصفاء للنشر.

العسكري، أبو هلال (بدون تاريخ نشر). *جمهرة الأمثال*. بيروت: دار الفكر.

علي، السيد (١٩٩٤).*الأمثال في كتاب سيبويه دراسة نحوية صرفية*. القاهرة: مكتبة الزهراء.

علي، محمد (٢٠١٨). *دور السياق في توجيه سيبويه النحوي للأمثال*. (العدد السابع والثلاثون) مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة.

العوادي، أسعد (٢٠١١). *سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة*. (الطبعة الأولى). الأردن: دار الحامد.

الغوينم، عزيزة (١٤٣٢). *الحذف من التركيب وتوجيهه في كتاب سيبويه دراسة في القاعدة والسياق*. (رسالة ماجستير). السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

لاينز، جون (١٩٨٧). *اللغة والمعنى والسياق*. (الطبعة الأولى). ترجمة: عباس صادة الوهاب، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية.

لحمادي، فطومة، (٢٠٠٨). *السياق والنص، استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي*. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. جانفي- جوان، العدد (الثاني، والثالث). بسكرة: جامعة محمد خيضر.

اللغوي، أبو الطيب (١٩٥٥). *مراتب النحويين*. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: مطبعة دار نهضة مصر.

المبرد، محمد (بدون تاريخ نشر). *المقتضب*. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. بيروت: عالم الكتب.

المعري، شوقي (٢٠٠٢). *الأمثال في كتاب سيبويه عرض ومناقشة وتقويم*. مجلة التراث العربي. مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العربي. العددان (٨٦، ٨٧). دمشق.

المكودي، محمد (٢٠٠٥) *شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف*. تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي. بيروت: المكتبة العصرية.

الميداني، أبو الفضل (بدون تاريخ نشر). *مجمع الأمثال*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار المعرفة.

الهاشمي، زيد (١٤٢٣).*الأمثال*. (الطبعة الأولى). دمشق: دار سعد الدين.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

DUBIOS, Jean (1999). dictionnaire de linguistique,paris.